

روايات مصرية للجيب

شيرين هنائي

انْتِزَاعُ شَعْرَةِ حِصَان

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أنمار



https://t.me/osn_osn



Scan me!

انْتِزَاعُ شَعْرة حِصان

شيرين هنائي

إهداء

إلى كل حي ميت...

إلى كل ميت لم يحي...

إلى كل شهيد لن يموت ...

إلى الأرض التي تشربت دماء الاستغاثات الأخيرة ثم لفظتها لعنة على الضالين.

التساؤلات الأولى

أنا مؤمنة أن بداخل كل منا قاتلًا بارعا، يختبئ خلف قضبان الدين والخوف من القانون، ونظرة المجتمع.. كمية إبداع رهيبة مكبوتة ترى لو اطلقناها، كيف سيكون شكل العالم؟

(مريم)

صيد فيل مجنح

وايومنج

الولايات المتحدة

أجلس أعلى التل، أراقب الطبيعة كعادتي.. المفترسات تلهمني... أجد فيها جريمتي المثالية، التي لا يُحاسب فيها القاتل على استخدام غريزته البقاء لمن تطور.. البقاء للأكمل.

الضفادع السامة ضحية مفترسات أكبر لكنها تأبى أن تلتهم دون ثأر.. سرعان ما يتحول القاتل إلى ضحية، وتتحول الضحية إلى قاتل.. جثتان تحتار في أيهما قتل الآخر.

ظننت أنني وجدت في (يحيى) القاتل المثالي، الذي يقتل دون سلاح، ويحول الضحية الميتة إلى قاتل حي.. يتسلل إلى الأحلام وينبه الضحايا، بطريقة قتلهم في المستقبل، فيتصرفون بشكل بديهي؛ يقتلون قاتلهم.

أليس هذا هو الدفاع عن النفس، الذي لا يُحاسب عليه القانون؟ كل ما في الأمر أن الاعتداء لم يقع بعد وقتما دافعت الضحية عن نفسها فيقضى عليها بالسجن وربما بالإعدام.

كل هذه الكائنات الشرسة البديعة في السجون، وعلى منصات الإعدام لن تنقذ بأي شكل من الأشكال، سواء كانوا ضحايا أو قتلة.. هنا يأتي دوري ورسالتي أجرعُ باقي الماء في زجاجتي وأدس منظار المراقبة في الحقيبة الصغيرة حول خصري ثم أنزل التل مهرولة .. رياضتي شبه اليومية التي تحافظ على ذهني مشحوذا وجسدي عضليا كجسد النمور.

لا يُوجد مَن يراقبني وإن كان ثمة متعقب فأنا مستعدة.. لن أتخفى أو أغير اسمي، أو أحصل على هوية مزيفة، تمكنني من الهرب من رجال (فادي) الراحل بلا أسف.. المفترسات لا تهرب لكنها تكمن وتنتظر.

أعود إلى بيتي بيت أبي أغتسل وأغير ملابسي بأخرى.. لم ترسل لي شركة الطيران التي أعمل فيها «إيميل الاستغناء عن خدماتي.. يبدو أن عمل (فادي) الجانبي في إنتاج أفلام رعب حقيقية، تتضمن التعذيب والقتل، لا علاقة له بإدارة الشركة، أو أن ما تبقى من رجاله بعد إلقاء القبض على الجميع بسبب بلاغي المرسل من مجهول قرروا أن توازن القوى هو الحل... لا بد أن لديهم ما يدينني، ولدي ما أدينهم به.

ظن (فادي) كما عرفت من (يحيى) لاحقا أنه هو الوحيد الذي يستطيع مراقبتي، وجمع ضدي، أدلة تحوي أفلامي على الدارك ويب، أو الإنترنت المظلم،

الذي يمثل 0.01% من الديب ويب أو الإنترنت العميق كان الرجل يخطط لضمي لفريق أفلامه المربعة، لكنني ببساطة سبقته وضممته إلى فريق الموتى العفنين.. ميتة لا تليق به على يد قاتل مبتدئ دفع لقتله دفعا.

ثلاثة أشهر مرت على البلاغ، وكل شيء هادئ.. لكنني أكرر، لا أتوقع أن ينتهي أمر (فادي) بهذه البساطة، المفترسات لا تهرب، بل تكفن وتنتظر لست بالغباء الذي يجعلني أؤمن أنني أذكى من في العالم.. أنا فقط ماكرة.

والمكر والذكاء صفتان مختلفتان اتصل بي (يحيى) اليوم يحكي لي عن رؤيا جديدة.. منتحرون يرسلون له استغاثات أخيرة.

التساؤلات الثانية

هل أحتاج إلى (مريم) حقا؟ لا أعرف ما قد تقدمه لي، لكننا قريبان، وهي مسئوليتي مهما كانت.. مسئوليتي أن أمنعها عن القتل، أو أن أحميها من القتل.

(يحيى)

صيد فيل مجنح

ما يداي

ما يداي

ما يداي

يـرن منبـه هـاتفي المحمـول، فاسـتفيق مـن تحليقـي فـي عـالم الأحـلام والإسـقاط النجمـي.. رؤى لا تنقطـع مـن كـل العـالم.. جرائم يكاد قلبي ينفطر لها، لكن لا شيء عن امي

أعـرف أنهـا مـع (مـريم)، وأنهـا تلـوي ذراعـي بهـا؛ كـي تسـتغل مـوهبتي فـي البحـث عـن جريمتهـا المثاليـة وأعـرف أننـي استسـلمت لهـا، لا لشـيء، إلا لكونهـا قـادرة حقـا علـى تلبيـة نـداء الاستغاثات الأخيرة، حتى ولو كانت مجرمة مختلة.

لا أعـرف هـل أمـتن لهـا لإنقـاذ حيـاتي مـن السـجن أم ألعنهـا. بعـدما حقنـت (فـادي) بسـم الكـورار، واتصـلت بــ (مـريم) كـي أعرف ما تخطط له،

وكيــف ستســاعدني، طلبــت منــي أن أمكــث مكــاني قــرب المنـزل، وأدعـي أننـي فـررت مـن مهـاجمي الـذي اتضـح لـي أنـه عميـل سـافرت بـه مـن قبـل، مـن وإلـى الولايـات المتحـدة عـدة مرات

سألني الشرطي:

- لماذا اتصلت بالنجدة إن كنت تعرفه؟
- لـم أكـن أعـرف أنـه السـيد (فـادي) .. السـيارة التـي جـاء إلــى بيتــي بهــا لا تحمــل أرقامًــا، ورأيــت مــن النافــذة مسـلحين يترجلـون منهـا، ناهيـك عـن تعطـل كـاميرات مراقبة المنزل فجأة.. كل هذا جعلني أرتاب.

- هل فتحت لهم الباب؟
- أجـل ، وسـمحت لهـم بالـدخول؛ لأنـي تعرفـت السـيد (فـادي).. تحـدث معـي عـن أفـلام الرعـب التـي ينتجهـا، وإن بـدا غريبًـا متـوترًا.. سـمع رجالـه صـوتا بالخـارج، فخرج أحدهم لأراه يسقط صريعًا.

حكيـت لهـم عـن اغتيـال الرجـال واحـدًا تلـو الآخـر، وكيـف أننـي هربـت خوفًـا ممـا يحـدث، ولـم أعـد إلا بعـدما سـمعت صـوت صافرة سيارة الشرطة.

سـألوني إن كنـت أعـيش وحـدي، فـأجبتهم أن أمـي تعـيش معـي، لكنها في زيارة لابنة خالتي لتواسيها في وفاة أبيها.

هكـذا، تبعـت كـل تعليمـات (مـريم)، التـي رافقـت أمـي إلـى المخفر لتدلي بشهادتها،

التـي لقنتهـا لهـا بأنهـا لا تعـرف شـيئا عـن أي شـيء، ثـم عـادت بها مرة أخرى إلى المخبأ الذي لا أعرف مكانه.

ترسـل لـي (مـريم) فيـديو لأمـي كـل أسـبوع تطمئننـي علـى أنهـا بخيـر.. دقيقـة ونصـف علـى الأكثـر، أدرس فيهـا ملامحهـا الحزينـة؛ بحثًـا عـن أي إشـارة تنبـئ بمكانهـا أو حالتهـا، لكـن فـي كـل مـرة لا أجـد سـوى عبـارات مواسـاة ودمـوع متجمـدة، خلـف عدستي نظارتها الطبية.

أنـا الآن حـر فـي نظـر القـانون، فقـد خاضـت التحقيقـات حتـى الآن إلـى أن (فـادي) كـان يريـد منـي شـيئا لكـن احـدهم اغتالـه بطريقـة غريبـة، وبـدا للشـرطة أن لهـذا علاقـة وثيقـة بـالبلاغ، الـذي وصـلهم مـن مجهـول، يحـوي جـرائم الرجـل الملتويـة غيـر المألوفـة .. كـان (فـادي) قـاتلًا متسلسـلًا مـن نـوع خـاص يسـتقل

المشـردين والمهمشـين والمـوتى مـادة الأفـلام، تـدر عليـه ملايـين الــدولارات مــن مزايــدات المتفــرجين علــى مواقــع الإنترنــت المظلم.

هل أنا في أمان؟ لا.. ولن أكون في أمان أبدًا.

طالعـت فـي الأخبـار المصـرية منـذ شـهر أو أقـل كشـف جريمـة مـن جـرائم الإنترنـت المظلـم.. شـاب فـى الخامسـة عشـرة يقـيم فـي بلـد عربـي وعـد رجـلا فـي مصـر بمبلـغ مـالي ضـخم علـى أن يقتــل لــه مراهقــا أو طفــلًا، ويصــور عمليــة إفــراغ أحشــائه لبيـع هـذا المحتـوى المنفـر عبـر الشـبكة المظلمـة، لقـاء ملايـين.. كيف كشفت تلك العملية؟

مـا صـلة المراهـق بالإنترنـت المظلـم؟ هـل كـان يعـرف حقـا مـا يفعـل أم كــان يظــن نفســه قــادرًا علــى الولــوج إلــى هــذا العــالم المتــوحش ؟ كيــف لمراهــق فــي الأســاس أن تخطــر لــه هــذه الفكـرة، بـل ويـؤثر فـي رجـل؛ ليرتكـب جريمـة نكـراء مقابـل وعد (1) ما الذي يحدث في العالم؟

أقـوم غارقـة فـي عـرق البـؤس الـذي أعيشـه، وأقلـب فـي دفتـري الــذي أكتــب فيــه أحلامــي بخــط ســيئ لا يقــدر علــى قراءتــه ،ســواي وتحــت عنــوان روائــي.. هكـذا نصـحتني (مـريم)؛ كـي لا يقـع الـدفتر فـي يـد الشـرطة يومًـا، وتجـد صـلة بـين الجـرائم وبين معرفتي السابقة لها.

جـرائم متتاليـة تفتقـر إلـى رابـط بالنسـبة لـي.. هـل أنتظـر رابطـا، أم أتحــرك علــى الفــور؟ مســتحيل إنقــاذ الجميــع، مســتحيل التركيـز فـي كافـة الاتجاهـات مسـتحيل معرفـة أمـاكن وتـواريخ الجرائم كلها.

(مريم)، به أخبرت وأخبرت انتباهي ما لفت مستحيلات.. مستحيلات

(مريم)، حوادث انتحار غريبة، يتكرر فيها ما بدا ل (مريم) على أنه «نسق» ما ، يشير إلى وجود مُحرك، أو «مبدع» وراءها، على حد تعبيرها.

في مرة رأيت فتاة مراهقة تذبح نفسها وهي واقفة في مغطس.. كانت تبكي وهي تفعل ذلك، وتنظر أمامها في هلع كأنها ترى شبحًا.

في مرة أخرى رأيت شابة في مثل عمر الأولى تقريبا، ترمي جسدها أمام شاحنة مسرعة، وهي تنظر أمامها إلى الرصيف المقابل بعينين متسعتين.

شابا هزيلا يقود سيارة مسرعة، يُغمض عينيه فتنحرف السيارة نحو الأشجار ويحتك جانبها بها، يُغمض عينيه ويخرج رأسه فيصطدم بالأشجار، و.....

ربي.. ماذا يحدث ؟! أعرف أن المنتحر يكون على شفا الانهيار أغلب الوقت ويبكي بكاء حارًا وهو يودع الحياة، ظنا منه أن الموت هو مخرجه الوحيد من معاناته.

اظنني رأيت مشهدًا مماثلًا في رؤيا قديمة، ربما كنت طفلا وقتها.. رجل في منتصف الأربعينيات، يبتلع اقراصا واحدًا تلو الآخر وهو يرتجف وينظر إلى المرأة.. دموعه تسيل لتقطر على الحوض... ما زلت أسمع صوت القطرات وأشم رائحة الملح فيها.

ما راته (مريم) من نسق في هذه الرؤى نظرة من رأيتهم.

- كـانهم ينظـرون إلـى شـخص أمـامهم.. أو كـاميرا كمـا تقول، أليس كذلك؟

أجبتها عبر الهاتف:

- أعتقد هذا.. لا أظنهم كانوا وحدهم.
- قتل مُدبّر ليبدو انتحارا؟
- ربما .
- هـل لهـذا علاقـة بـأفلام الـديب ويـب؟ دعنـي أبحـث عـن محتوى مشابه هناك.

سنتقابل اليوم فـي بيتـي، الـذي لـم يعـد مسـرح جريمـة، ورحلـت الشـرطة عنـه منـذ أشـهر.. تـرى كيـف سـنتحرك؟ ومـاذا سـنفعل لتلبية نداء الاستغاثة؟

---

(1) جريمة حقيقية وقعت في ابريل 2024.

التساؤلات الثالثة

هذا حلمي، ولن ادع أحدًا يأخذه مني مرة أخرى.

(مريم)

صيد فيل مجنح

موعدي مع (يحيى) في الثامنة والنصف في بيته لماذا بيته ؟ لأن ما أريد أن أفعله، لا يمكن فعله إلا في مكان لا يرانا فيه أحد أما الآن فأجلس في مقهى بسيط، يحيطني فيه طلبة المدارس والعقال، ومن يرغبون في قهوة سريعة رخيصة.. أدرس من حولي من خلف نظارتي العاكسة..

عدد من الفتيات والشباب من الطلبة ينظرون إلى كاميرات هواتفهم المحمولة يبدو أنهم يصورون شيئا على منصات التواصل الاجتماعي، التي يتكسب منها شباب اليوم.. لا مشكلة، لكن اللافت للانتباه نظرات بعضهم إلى بعض، والعداء الواضح بين ثلاثة منهم، بينما يتعانقون أمام الكاميرا ويغنون معًا.. اللافت أكثر هو ما حدث بعدما انتهوا .. لم يرفع أحدهم عينيه عن شاشة هاتفه.

واضح الآن سبب اختياري لأماكن تجمع الشباب.. لن يراني أحد وأنا أمامهم...

هم لا يرون في هواتفهم حتى إلا ما يريدون رؤيته ولا تمنحهم «السوشيال ميديا» إلا ما يغذي غرورهم.

أتخيل أي واحد منهم وهو يحرك إصبعه سريعًا إلى أعلى، عندما يجد ما يواجهه بحقيقة نفسه.. كلكم قَتَلة يا صغار كلكم منتحرون تقتلون أنفسكم كل يوم جهلًا.

يدخل الرجل ذو القميص اللبني والسروال الجينز ينظر حوله سريعا يبحث عني أشير إليه، فيقترب مني ويجلس أمامي.

- قهوة؟
- لا.

ثم يدفع لي بظرف كبير، أضعه في جيب سترتي... أسأله:

- هل تراقبونني؟
- لا.. لماذا؟
- ثمة من يراقبني.
- لا أعرف من هو.
- على موعدنا؟
- بالتأكيد.

يرحل الرجل الذي لا أعرف اسمه، والذي يتغير في كل مرة.. أتحسس ظرف المال في جيبي، وأحسب ما فيه حسب سمك الأوراق المالية.. ممتازا هل كان يظنني (فادي) سأترك من أعمل معهم، وأنضم إلى مؤسسته المكشوفة المشوهة غير ذات الهدف؟ كان (فادي) يفعل ما يفعل للمال، لا لغرض أسمى كما اريد، ولا كما يسمح لي من أعمل معهم.. يظن نفسه الوحيد في عالمنا العميق المظلم

لكني أعرف أن أحدًا يراقبني... مسألة غريزة .. هذه المراقبة جديدة نوعا، وبما أنها مكشوفة، فمن يقوم بها غير محترف لننتظر ونرا

أراقب النادلة مبتلة اليدين، تأخذ الأكواب والفناجين من يد الشابة التي خلفها، فتجففها في خرقة يا للقذارة وتصب فيها القهوة للزبائن.. هذا روتين لا يتغير.

أجفف كفي جيدًا من العرق، ثم أذهب إلى آلة الكاونتر حيث سأدفع سريعا لأنصرف... أشير إلى النادلة لأدفع لها وأبدو متعجلة.. تجفف يدها في الخرقة ذاتها فلا تجفف جيدًا، ثم تأخذ مني الورقة النقدية ذات الفئة العالية، وتبحث في الدفع

عن باق.. أرتكن أنا إلى الكاونتر، وألصق قرص هايدروكسيد الصوديوم، في قاع فنجان متسخ من المكوّمة في صحفة إلى جواري.

فوضى لطيفة تتيح مزيدًا من المرح.. آخذ باقي مالي، وأنصرف.. أقف خارج الواجهة الزجاجية، وأتظاهر بتصوير نفسي «سيلفي»، وأنا أراقب عاملة غسل الصحون تمسك الفناجين واحدًا واحدًا لتغسلها.. بمجرد أن تمسك فنجاني المقصود، وتضعه تحت الماء، يتصاعد الهيدروجين وتحترق يدها من الحرارة الناتجة عن التفاغل؛ إذ يحل الصوديوم محل الهيدروجين في الماء، وينتج تفاعل قوي وسريع فتصرخ .. ينطلق غاز الهيدروجين وتسعل العاملة دامعة العينين.

كيمياء بسيطة، وفيديو جديد لطيف للغاية، باستخدام قرص تسليك البالوعات أصور الشباب الجالسين يرفعون أعينهم للحظات عن هواتفهم، وينظرون إلى العاملة الصارخة والنادلة تحاول إنقاذها مما لا تعرف كنهه.. لا يتحرك أحد من مكانه.. الكل يحاول فقط رؤية يدها المحترقة بدقة لا أكثر.

هذا ما تريده المؤسسة التي أعمل لديها.. القياس والمراقبة؛ ولهذا توافقت رغبتي ورغبتهم في تناغم مروع والآن لدي مهمة بسيطة أخرى قبل لقاء (يحيى).

منذ أسبوع كنت أقود سيارتي في طريقي المعتاد إلى بيتي.. يقل ازدحام الطريق تدريجيا حيث لا أشعر وقتها أنني مراقبة قبل أن أصل إلى مفترق الطرق الذي اتخذه غالبًا،

والذي يقل فيه عدد السيارات أنظر إلى المرآة الأمامية فارى سيارة الأجرة ذات الأرقام التي أحفظها الآن عن ظهر قلب.. أضيء إشارة الانعطاف إلى اليمين فتتحرك السيارة إلى اليمين ببطء.. أفوت المنعطف عمدا،

فترتبك السيارة خلفي، وكأنها كانت تستعد للانعطاف ورائي... أكمل طريقي، فأرى السائق يتوقف إلى جانب الطريق.. لقد عرف أنني كشفته.. من يكون هذا المبتدئ؟

هل هو مراقبي الوحيد؟ لا أظن.

عرجت قبل الذهاب إلى (يحيى) على منزلي؛ لأحمل الطرد الذي طلبته منذ أيام، بعدما أخبرني (يحيى) عن تكون صورة ما لجرائم تستحق التحرك أخيرًا.

يستقبلني (يحيى) الأشعث طويل اللحية، ويكاد يفاق خلفي الباب، لكني أرفع يدي وأقول له:

- ألم تفتقد ماما؟

تدخل خالتي والدته – وتعانقه بقوة، حتى كادا يسحقان بعضهما.. يا للمشاعر ينظر لي (يحيى) دامع العينين ويسألني:

- (مريم).. لماذا؟
- لأني لا أحتاج عبئا إضافيًا.. ولأنك صرت تعرف أن في إمكاني إبعادها عنك في أي وقت أريده.

كان (يحيى) في حاجة إلى تدريب شاق طوال الفترة السابقة؛ ليُحرر موهبته وبقاء أمه بعيدة عنه سيحفز رغبته في معرفة مكانها عن طريق الأحلام، أو حتى الإسقاط النجمي.. لكنها لم تستغث به؛ لهذا لم يصل إليها.. لطالما راهنت على تعلقها به ورغبتها في حمايته، حتى ولو على حساب نفسها.. لن تستغيث به فأوذيه.. بسيطة.

وجاءت التجربة بنتيجة رائعة.. رأى (يحيى) آلاف الجرائم والاستغاثات خلال أشهر معدودة، وهو مُعدّل غير مسبوق... بعض هذه الجرائم حدثت في الماضي وأغلبها غير محدد المكان أو الزمن، أو الاثنين معًا، والكثير من الصنفين وصله من ضحايا الحروب التي اشتعل ويشتعل بها الكوكب.. تلك الأخيرة مزقته نفسيا،

(يحيى) على وشك الجنون.. أعرف هذا.

قالت الخالة العزيزة

- (مريم).. اسمعيني يا ابنتي.. أكملي أنتِ حياتك كما تشائين واتركي (يحيى) لحاله.
- مستحيل.. هذا فيلي المجنح

تنظر لي غير فاهمة فيقول (يحيى)

- كيف تعرفين أننا لن نهرب؟

امسك ذراع أمه النحيلة وأرففها ،أمامه ليرى سوار تعقب جنائيا، مما تستخدمه الشرطة مع المجرمين، في أثناء فترة

إطـلاق سـراحهم المشـروط.. يعقـد (يحيـى) حاجبيـه، وقبـل أن يفهم احكم سوارًا آخر حول معصمه.

- لا تحاول كسره أو قطعه .. لسلامتك قبل كل شيء.

ينظـر لـي حالهـا، فأضـيف وأنـا أجلـس وأخـرج لابتـوب مـن حقيبتي:

- لتبـدأ العمـل.. تحتـاج إلـى معرفـة مكـان هـذه الجـرائم... وجـدت خبـرًا عـن حـادث الشـاب الـذي انفصـل رأسـه بتـاريخ شـهر مضـى فـي جريـدة «هايـدا جـواي أوبزيرفـر». لـم أجـد أخبـارًا عـن الجـرائم الأخـرى، ولا أثرًا لأفلام تشبه هذا المحتوى على الدارك ويب

يسألني وهو يلف ذراعه حول كتفي أمه:

- ألا يمكننا إرجاء هذا الحديث حتى أطمئن عليها ؟
- لا.. بمـا أن حـادث الشـاب الـذي بـلا رأس، قـد ذكـر فـي جريـدة محليـة للغايـة كهـذه، تغطـي أخبـار قبائـل (الهايـدا) فـي جزيـرة الملكـة (شـارلوت) ، التابعـة لــ (كنـدا)؛ فلـدي سؤال مهم.. صف لي الضحايا الذين رأيتهم.

أغمـض عينيـه وراح يخبرنـي أنهـم بالفعـل متشـابهون إلـى حـد مـا، شـعر نـاعم، أعـين ضـيقة، أوجـه مسـتديرة لـون بشـرة برونزي مائل للصفرة.

- كأنهم.. من الهنود الحمر.

أدرت شاشة اللابتوب تجاهه لأريه صورة عليه وأقول:

- بـل (هايـدا).. مـن سـكان (كنـدا الأصـليين).. تعـرف أننـي أحـب الهنـود الحمـر، وأميـز قبـائلهم فـي الشـمال هنودنـا

الشماليون أتوا من شمال آسيا إلى آلاسكا و(كندا) ومنها إلينا .. أما الهنود الحمر في جنوب الولايات، فليسوا هنودا حمرا، بل مكسيكيون.

- المهم.
- المهم أنني أعشق (أمريكا)، حيث لكل أربعة أشخاص جريدة تغطي أخبارهم، وحزب يمثلهم تخيلي يا خالتي لو كنا نعيش في... مصر مثلاا كيف كنا سنصل إلى المستغيثين؟

قالت والدة (يحيى)

- لا يحدث مثل هذه الجرائم المتسلسلة البشعة في مصر.
- لأنهم هناك أغبياء، غير قادرين على التخطيط طويل الأجل لا أكثر.

أعرف أنني أضايقها في كل مرة أقلل فيها من شأن المصريين.. لتحترق حية إن أرادت.. الكائن غير القادر على القتل كائن لا يستحق إلا رتبة دنيا.. قلت لـ (يحيى)

- اريدك أن تركز تفكيرك أكثر على هذا المكان جزيرة الملكة (شارلوت)..
- انصت جيدًا إلى الاستغاثات هناك لا تنس يا (يحيى) أن الأبرياء ينتظرونك كي تحولهم إلى قتلة.

نظر لي واجما، فأغلقت اللابتوب وأضفت:

- لو شئت اتركهم ليقتلوا.. لا خيار ثالث يا فيلي المجنح.

التساؤلات الرابعة

كلما حاولت التحرر من قيود جسدي وعقلي الواعي شعرت أنني مكشوف، وان الكل يراقبني، فتزيد طباعي الانعزالية.. لكن في النهاية، أي شيء أهم؟ ان اصير اجتماعيا محبوبًا، ولا اهتم لأحد إلا نفسي، أم أركز على الموهبة التي وهبنيها الله ؟

(يحيى)

صيد فيل مجنّح

حـذرني المنـوم المغناطيسـي مـن أن أهـيم أبـدا فـي متاهـات العقـل البـاطن أو فـي غياهـب العـالم غيـر المـادي لـو اسـتمرت محـاولاتي فـي الخـروج مـن جسـدي باسـتخدام الإسـقاط النجمـي والتنويم المغناطيسي الذاتي.

بـدأت رحلتـي برغبـة فـي استكشـاف أحلامـي والعـودة إلـى معايشـتها لألهـم نفسـي أكثـر وحقيقـة رؤاي وانتهـى بـي الأمـر إلـى أن أكـون فـيلا مجنحًـا مكـبلا بجهـاز تتبـع فـي سـيرك (مريم).. اصنع الأعاجيب لإرضائها ..

لإرضاء نفسي التي تأبى إلا أن أكون بطلا.. شهيدًا.

دعنـا نكـون صـرحاء.. لسـت المـلاك الـذي أظنـه.. لقـد وصـلت فـي طريـق مواجهـة نفسـي، إلـى نقطـة أراهـا فيهـا عاريـة بـلا رتوش.

أجـل.. عجـزي عـن إنقـاذ كـريم صـديق طفـولتي أهـان البطـل بداخلي، وهو لن يقبل الإهانة.

أخفـف ملابسـي وأشـغل جهـاز التكييـف، رغـم الشـتاء وبـرودة الجـو... أقـف أمـام المـرآة.. أخلـع نظـارتي الشمسـية التـي مـا عـدت أخلعهـا إلا نـادرا خشـية مصـادفة أمـام مـرآة فـأنوم نفسـي لا شعوريا.

أضـحك.. هـذه عينـا ،مفتـرس تنظـران عبـر المـرآة إلـى عينـي ضـحية منكمشـة فـي أعمـاقي.. تشـلان حركتهـا.. تغويانهـا.. تقـف الضـحية محدقـة وتنسـحب إرادتهـا.. تسـير مرغمـة عبـر حـدقتي الضـاري الـداكنتين. أنـا محـاط بغابـة مـن نـوع مـا .. صوت صخب بعيد.

شاب يعدو هاربًا من شيء ما .. ينظر خلفه في ذعر، يتعثر، يقوم ويجري مرة أخرى.. يتوقف.. يلهث منقطع الأنفاس.. ينظر نحوي.. لا .. ينظر إلى شخص عن يميني، ويتكلم بلغة لا أعرفها .. يبدو أنه يحاول فهم سبب مطاردته.. ينصت...

يرتفع حاجباه دهشة.. يهز رأسه بمعنى مرة أخرى.

«لا».. يجري يخرج إلى طريق عام خال عند نهايته أضواء صاخبة.. يعدو نحو منزل من طابق واحد تحمل سقف مدخله أعمدة خشبية منقوشة برسم وجوه بارزة..

يدخل المنزل وهو ينظر خلفه من حين لآخر ويرتجف.

أدخل خلفه، أجول في البيت البسيط فلا يراني بالطبع.. أبحث عما يبين لي تاريخ اليوم فلا أجد.. تبا! لماذا لم يعد للتقويم المُعلّق على الحوائط وجود في هذا العصر ؟

يدخل الشاب غرفته ويضيء المصباح أتبين تفاصيل ملامحه أكثر رغم التشوش المميز لرواي، التي أتعمدها ولا تراودني تلقائيا .. كأنني أحاول التلصص على أحداث محجوبة عني كأنني أحاول تحدي قوانين الزمان والمكان.

شعره اسود مصبوغ بالأصفر، جذوره حالكة واضحة لي وهو يركع ليُخرج شيئا من أسفل الفراش.. نحيل هو.. يرتدي حول معصميه سوارين ملونين... أحاول رؤية ما ينظر إليه أسفل الفراش فأفشل.. يعيد الفتى إسدال الملاءة، ويتكور على الأرض محتضنا ركبتيه ويبكي.. من اسفل الفراش أرى طرف شيء لامع لا استطيع تحديده.

أسمع صوتا خشنا ينادي من بعيد بتلك اللغة التي لا أميزها، فيمسح الشاب عينيه سريعا، كأن صاحب الصوت سيراه بمجرد وصول كلماته إليه.. يقول الفتى شيئا بصوت عال، ثم يغمغم باكيا، ويضرب الحائط مرارًا.

يرن هاتفه المحمول معلنا وصول رسالة .. يفتحها ليرى صورة ساقي فتاة مغمورتين في الماء، وإلى جوارهما مجفف شعر غارق... يضع الفتى الهاتف على المنضدة وينظر تجاهي في وجوم.

هل رآني؟ كيف؟ لا .. حدق الشاب فقط إلى باب الغرفة للحظات، ثم مسح وجهه مرة أخرى وخرج.. أنظر إلى شاشة هاتفه المحمول قبل أن تنطفئ... التاريخ..

الساعة.

هذا كل ما أريد.

تقول لي أمي:

إن كنت ستسافر معها على الأقل أريدها أن توصلني بجهاز التعقب حول رسغك.. أريد أن أعرف اين ستكون.

- وهل ستوافق؟
- لسنا خاضعين لأي شيء.. ما أسوأ ما يمكن حدوثه؟ ستقتلنا؟ لو كانت ستقتلنا، لكنت رأيتني أستغيث أو رأيتك أنت تستغيث بي.
- أمي... أنا أعرف أنك لن تستغيثي بي خوفًا علي، وأنا لم أستغث بك خوفا عليك.. أو لو أردت الصراحة

المطلقة.. لن أستغيث لأنني أرغب في عقاب نفسي.. ارغب في حل للمعضلة التي وقعت فيها.. لو تدخلت لصارت الضحية جانيا، لو لم أتدخل لقتل بريء.

- هذا بالضبط ما يجعلني لا أرفض تمامًا تعاوننا مع (مريم)، هي تحتاجنا ويمكننا أن نملي شروطا لا تبدو لها كذلك.. سأطلب منها بدافع أمومي بحت أن أعرف مكانك.
- لن تقبل.

وجهة نظر أمي أن الخروج من متاهتي ممكن، لو أنني استطعت منع الجريمة قبل أن يتحول المجني عليه إلى جان... مسألة تخطيط وتوقيت أحتاج فيها إلى مراقب واع قادر مثل (مريم).. لو أننا نظرنا للأمر من بعيد، فسنرى أن (مريم) تبحث عن قاتل مثالي؛ لتساعده بإمكاناتها على الاستمرار في عمله «الإبداعي».

أي أنها تريد أن تحافظ على المجرم مجرما، ولن تستفيد شيئا لو قتل... وهو تقريبا ما أريده أنا أيضًا.. منع الجريمة.. وهنا يفترق طريقانا .. لو عثرت على المجرم سأسلمه للعدالة، ولو عثرت هي عليه قبلي لحقته.

معضلة أخرى.

اضع راسي بين كفي... انا مرغم على التجربة والفشل يعني خسارة المزيد من الأرواح.. تقول أمي الأرواح ستفقد بالتأكيد لو لم تتدخل، أما لو تدخلت بالطريقة الصحيحة ستنقذها.. حتى لو هربت (مريم) الجاني.. ثمة مكسب على أي حال.

- مكسب مؤقت... لو ساعدت (مريم) المجرم لصار أكثر احترافًا، ولاستمرت جرائمه دون رادع.. تخيلي أن أستسلم لموهبتي وأتحول إلى قاتل متسلسل، يقتل عن بعد وبيدين نظيفتين قاتل يقتل في الماضي أو المستقبل... ستحميني (مريم) بكل ما تملك، ولن يستطيع أحدٌ ردعي.

قامت أمي تنظر عبر نافذة حجرتي.. تفكر.. شعرها الأشيب مهوش يتخلل ضوء الشمس خصلاته فيصير كهالة ذهبية تحيط ، برأسها وهي تقف بين رفوف كتبي و أفلامي وتسجيلاتي.. قلت لها:

- لا تحاولي فعل أي شيء للتدخل في الأمر.. لقد عبثت كفاية في مجرى الزمن وصرت مجبرا على الاستمرار.
- لا تقلق يا (يحيى).. أنا فقط أفكر في (مريم).

لا أعرف فيم تفكر بالضبط، لكن أشهرًا مرّت والتساؤلات حول (مريم) ترتع في عقلي.. من أين تحصل على المال اللازم لكل ما تنفقه على شراء معدات؟

من مشاهدات أفلامها المختلة؟ لكنها أقل اختلالًا بكثير مما يُعرض على مواقع الإنترنت المظلم، أقرب لأفلام الهواة، مقارنة بما يدفع فيه مرضى النفوس من مال مزايدات

ربما لها مصدر دخل آخر، أو لأفلامها زبون مختلف، خاصة أنها قد ادعت أنها محت حسابها رغم استحالة تتبعه على موقع الإنترنت المظلم الذي كانت تعرضها فيه.

ثم.. لماذا لم تستغن عنا شركة الطيران الخاصة ؟ أنا في إجازة مفتوحة وهي تطير بانتظام مع طيارين آخرين... من هو (فادي) حقا؟ ولماذا مر مقتله بهدوء هكذا؟

استدارت لي أمي أخيرًا بعد طول شرود، وقالت:

- (يحيى) .. لا تثق في (مريم).. لا تثق في نفسك، وأبق كل شيء مكتوبًا ومسجلا كي لا يختلط الماضي بالمستقبل، واليقين بالاحتمال.

أقف وأتجه نحوها.. أنظر إلى عينيها وأسألها:

- ماذا تخفين عني؟
- صدقا لاشيء..
- لا شيء..

وفضلت العودة إلى الأمان... لا أقول إن هذا قرار صائب، لكني عشت يا (يحيى) كأي إنسان آخر.. أعتقد أن الله خلقنا لنكون عاديين، لا خارقين.. أن نستمد العون من خالق الكون، لا من أنفسنا العاجزة القاصرة مهما تجبرت.

لا تنس أنني مشيت خطوات في طريقك من قبل أنظر إلى الأرض وأهز رأسي.. حقا يا أمي الخارقون مخيفون، حتى ولو كانوا ملائكة على الأرض.

التساؤلات الخامسة

حتى السفاحون... اختيارهم لضحاياهم ليس عشوائيا .. ثمة نسق دائما.. قطع بازل تركب إلى جوار بعضها البعض لتكون لوحة فنية كاملة، لا يراها إلا القاتل لوحة فنية لا بد أن تكتمل مهما تكلف الأمر.

(مريم)

صيد فيل مجنح

جـزر الملكـة (شـارلوت)، أو (هايـدا جـواي) هـي أرخبيـل أو مجموعـة جـزر صـغيرة تابعـة لمقاطعـة (كولومبيـا) البريطانيـة فـي (كنـدا)، وتقـع علـى الطـرف الجنـوبي مـن جزيـرة ، (جراهـام) شـمال المحـيط الهـادي.. هـذا يعنـي أننـي فـي حاجـة إلـى السـفر خـارج الولايـات وهـي مهمـة يسـيرة خاصـة أن (هايدا جواي)، وجهة سياحية معروفة.

أحتـاج فقـط إلـى هويـة مزيفـة لـدي أكثـر مـن (واحـدة)، وجـواز سفر مزيف (لدي اثنان).

مـا رآه (يحيـى) فـي رؤاه يشـير إلـى هـذه المنطقـة، ومـا عرفتـه مـن الجريـدة عـن خبـر المنتحـر / القتيـل يقـودني إلـى التوجـه رأسًا إلى جزيرة (مورسبي)، بلدة (ساندسبيت) تحديدا.

مـع تعـداد سـكان أكثـر مـن ثلاثمائـة بقليـل يضـيق بالتأكيـد نطـاق البحـث بـين السـكان الأصـليين.. لكـن مـن قـال إن القاتـل مـنهم ؟ فـي البلـدة بعـض الغربـاء غيـر المقيمـين، يعمـل أغلـبهم فـي السياحة ورعاية الحياة البرية، وفي المطار بالطبع...

نعم في جزيـرة صـغيرة كهـذه مطـار سـيُثار ضـيق خـالتي كثيـرًا لـو ذكـرت لهـا هـذه المعلومـة مقارنـة بعـدد المطـارات فـي مصر.

حجـزت تـذكرة وسـافرت وحـدي أولا أستكشـف المكـان وتركـت لــ (يحيـى) حريـة حركـة ليسـت حريـة بـالمعنى الحرفـي - كـي لا يثقلني وجوده وعيناه الثاقبتان من خلف نظارته.

في البداية، شاركت المجموعة التابعة لشركة السياحة، التي سافرت معها، بعض الأنشطة من ركوب الزوارق، ومشاهدة أعمدة الطوطم، التي تنبت من أرض كل متر في الجزيرة ثم أخيرًا رحلة المشي وسط الطبيعة، والتي سمحت لي بالتجوال بعيدًا، بعدما أقنعت الجميع أنني أقضي آخر أيام حياتي، بسبب ورم نادر في الدماغ، وأريد الاستمتاع بالطبيعة وحدي؛ لأتوحد معها وأستعد للاندماج فيها، وكل هذا الهراء الذي يحبه الغربيون ويتعاطفون معه.

ذهبت في اليوم الثالث من رحلتي إلى مكتب رعاية الحياة البرية في الجزيرة وطلبت التطوع، وقدمت شهادة خبرتي في مجال العلاج البيطري وإنقاذ الحيوانات شهادات مزيفة طبعًا فرحبوا بي على الفور، وطلبوا مني إمدادهم بأوراق حالة صحيفتي الجنائية، وما غير ذلك من أوراق تأمينية، وهي أوراق يسهل الحصول عليها بالنسبة لي.

الآن صرت الأمريكية المحتضرة، التي وهبت آخر أيامها لرعاية الحياة البرية.. غطاء مقنع، يتيح لي التجوال بحرية مع فرصة حمل واستعمال أدوية ومسكنات وأدوات جراحية دون مساءلة.

أقمت مؤقتا في نزل قرب الميناء يعج بالسائحين؛ لذا بدأت البحث فورًا عن مكان خاص بي ثم التنقيب عن أماكن تجمع الشباب هنا الضحايا من عمر متقارب كما رآهم يحيى في البلدة ثلاث مدارس ابتدائية، وواحدة للثانوية المتوسطة والكليا وناد اجتماعي رياضي... أغلب الشباب من الـــ (هايدا)

يتسكعون على الشواطئ ويسبحون في مياه المحيط، ويتركون المقاهي والمطاعم للسائحين.. ثمة مقهى أو اثنان صغيران للمحليين، يتقابل فيهما مجموعات محدودة من الشباب ويمثل المحليون الأكبر عمرا زبائنهما الدائمين ويبدو لي أن أغلب السكان ما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين يعملون خارج البلدة، وربما خارج الجزيرة بالكامل... هذا ديدن الشباب في أي مكان معزول بدائي، مقارنة بالمدن البراقة بالقرب منهم.. أتفهم أيضًا رغبتهم في الابتعاد عن مكان يضج بذكرى الأجداد ونقوشهم وذكرياتهم، حتى أن لدى الحكومة هنا مشروعا عجيبًا؛ لإعادة تدريس لغة الـ (هايدا) المنقرضة التي لا يتحدث بها سوى بضعة وعشرين شخصا في المدارس قاعدة انسلاخ الثعابين من جلدها القديم تطبق على البشر بحذافيرها وهي قاعدة حتمية الحدوث، لكن لا يلاحظ أحد هذا التشابه فيما يبدو سواى أنا التي أنظر إلى الخلق كحيوانات في تصنيفات مختلفة، مراقبتها نوع من الحكمة العليا يغفل عنها الجميع.

السماء ماطرة، ودرجة الحرارة منخفضة عن الولايات والرطوبة عالية، فأشعر كأنما أسبح في ماء طوال الوقت... شعري المموج يزداد تموجا؛ فأضطر إلى ربطه إلى الخلف مع تمسيده بالجيل ما يمنحني مظهر مُجندات الجيش بقامتي طويلة وكتفي العريضتين.. لا بد أن أظهر بشكل أصغر حجمًا؛ كي أتماهى مع الطبيعة، وكي لا يلاحظني الآخرون قاعدة الحياة البرية الأهم على الإطلاق.

في اليوم الخامس كنت في مكتب حماية الحياة البرية ليلا، لا أفعل شيئا سوى مشاهدة التلفاز وانتظار عودة حرس الغابات بعد جولتهم الأخيرة قبل الانصراف، وبالطبع اختيار ما تيسر من الأدوية البيطرية التي قد أحتاجها في مهمتي السرية.. يجب أن أقترح عليهم الانضمام إلى حرس المحميات أيضًا؛ كي أجول دون مساءلة.

تأخر الوقت قليلًا، ثم سمعت صوت صافرة سيارة الشرطة تنطلق نحو الميناء..

لا، بل إلى الطريق المؤدي للغابات العتيقة غرب محمية (داماكسايا).. خريطة البلدة على هاتفي المحمول، تبين كل التفاصيل والأبعاد والمسافات.. ترى ماذا حدث هناك؟

قيل لي: إن المنطقة ليست خطرة، لكن الحوادث تقع على أية حال ركبت سيارتي المستأجرة ليس في المدينة مواصلات عامة، فقط تاكسيات وسيارات مستأجرة، وأخرى خاصة بالطبع وتبعت الطريق الذي اتخذته سيارة الشرطة، ومن خلفي سيارة إسعاف صغيرة.. لم أحتج إلى بحث طويل، إذ أضيئت أشجار المحمية بأضواء سيارة الشرطة الزرقاء والبيضاء.

لففت جسدي بشال خفيف بني؛ لأضفي طابع المرض، وأقلل من حجمي، ووقفت خلف المجتمعين من زملاء ومحليين ينظرون إلى أعلى في دهشة ممزوجة باشمئزاز وهلع.

هذه الرائحة.. أعرفها جيدًا.

رفعت عيني إلى أعلى لأرى شابًا نحيفًا مشنوقا، يتدلى من حبل سميك مربوط إلى فرع شجرة عظيمة، وإلى جواره سلم خشبي يبدو أنه صعد به إلى أعلى.

يبدو الأمر انتحارا، لكن هذه الرائحة.. دماء.

أسفل الجثة بركة دماء واسعة وملابس الشاب مسودة بالكامل في الظلام الذي لا يضيئه سوى الكشاف... كنت سأظنه قد ذبح لولا لمعة الحبل الغريبة.

اقتربت أكثر، فمد الشرطي المحلي ذراعه إلى جانب جسده يمنعني.. قال بصوت عال للجميع

- لا يقترب أحد أكثر.. نحن في انتظار الـ (RCMP).

نظرت متسائلة إلى زميلة في جمعية حرس الغابات؛ (لايرا)، فاقتربت مني وقالت:

- آه.. أنتِ أمريكية.. شرطة الخيالة الملكية الكندية هي المختصة في التحقيق في القضايا المماثلة.. الشرطة المحلية لا تحقق في جرائم القتل
- قتل؟ يبدو لي انتحارا.

لا بد أن أبدو غبية طبعًا.. أشارت إلى الحبل اللامع وقالت:

- الحبل يا (ماري).. شظايا الزجاج الحادة تغطي الأنشوطة.. لقد شنق الشاب واستنزف دمه.

(ماري جوزيف) هو اسمي الجديد طبعًا.. تقلص وجهي عمدًا- وتظاهرت بأنني أصبت بالدوار سمحت لي الزميلة (لايرا) من المحليين بالاتكاء على ذراعها الشحيمة حتى وصلت إلى سيارتي.. نصحتني بالعودة إلى النزل لأرتاح، فهززت رأسي ورحلت. لكن عقلي لم يفارق مسرح الجريمة.. هل لها صلة بالحالات الشبيهة بالانتحار التي رآها (يحيى) ؟ هل رأى تلك الجريمة ولم يخبرني؟ أعرف أنه لا يرى كل الجرائم، لكن علينا أن نتحد للأسف - كي تكتمل الصورة.

أعرف أنه لم يغادر غرفته، منذ أكثر من اثنتي عشرة ساعة أعرف أن خالتي الحبيبة خرجت إلى المتجر القريب ثم عادت.. فأرًا تجارب صغيران مطيعان اتصل بـ (يحيى) لأجد هاتفه مغلقا.. أتصل بخالتي

- (يحيى) نائم.
- نائم؟ منذ اثنتي عشرة ساعة ؟
- لا أعرف إن كان (نائما) يا (مريم) أو ... أنت تعرفين.
- لا جديد؟ ألم يخبرك بشيء؟
- هو لا يخبرني بشيء.

وأنهت المكالمة عدت إلى غرفتي في الأكل، وقبل أن أرتمي على الفراش لمحت ظرفا دسه أحد أسفل الباب.

فتحت الورقة المطوية فيه، لأجد الرسالة التالية بالإنجليزية مليئة بالأخطاء الإملائية: «خذي حذرك من الفيل ما يداي مايداي مايداي» أفتح الباب فلا أرى أحدا...

مايداي.... إشارة الاستغاثة للإبلاغ عن خطر جسيم.

في الصباح قابلت (لايرا) في مقهى محلي صغير ولم يكن لأحد من حديث سوى مصرع (راءول)، المراهق الخجول الذي لم يدرك أحد وجوده إلا عندما أعلنه بهذا الشكل المروع من المُختل الذي قد يفعل شيئا كهذا يا (لايرا)؟

- أنا مرتعبة.. كلنا مرتعبون... لم يكن للولد أعداء يا (ماري).. هل تتخيلين أن يفعل طفل كهذا شيئًا يستحق عليه القتل بهذه الطريقة الوحشية؟ مهما فعل فمن قد يقتله لن يتكبد كل هذا العناء.. طعنة سكين ستنهي الأمر ببساطة.

أقول وأنا أعدل وضع نظارتي العاكسة على قصبة أنفي:

- القتل بشع بكل أشكاله.. تقولين إنه في الخامسة عشرة فقط.. ماذا عن أهله؟ هل لهم أعداء؟
- اسمعي يا (ماري)، الناس هنا تلقائيون... لو قتل أحدهم الآخر، فسيقتله بضربة حجر أو طعنة أو حتى رميا بالرصاص... ما الحكمة في استنزاف دماء شاب كان سيموت شنقا بحبل عادي؟ كأن القاتل يريد أن يعلن أن الشاب لم ينتحر.

لففت الشال حولي وارتجفت فمدت (لايرا) قبضتها السمينة وهزتها وهي تبتسم وتقول لي:

- تجلدي يا رفيقة.

مسست قبضتها بقبضتي. هذه هي الطريقة التي اختارتها (لايرا)، ذات الخمسين عامًا للتحية والتشجيع واللوم والغضب.. فقط تغير تعبيرات وجهها لتعين الطرف الآخر على فهم الإشارة.. (لايرا) من المحليين، ومن أوائل المتطوعين في حراسة الغابات والإنقاذ... يعتبرونها في المكتب أما لهم، رغم أن من المتطوعين من يكبرها عمرًا.. قلت لها وأنا أمثل الشرود

- كان لي أخ انتحر في عمر الزهور هذا.. اعذريني إن تأثرت أكثر من اللازم.
- أو... معذرة يا رفيقة.. أنا آسفة لسماع هذا.. هل تودين الحديث عن الأمر؟
- ربما في وقت لاحق.. في (أمريكا) معدل محاولات انتحار المراهقين عالي..
- أعتقد أن الأمر مختلف هنا .. الحياة هادئة ويبدو لي المراهقون أكثر اتزاناً.
- ضحكت (لايرا)، وأخبرتني أن المراهقين مراهقون في كل مكان، لكن..
- معدل الانتحار هنا منخفض على أي حال... لم أسمع بحالة انتحار في البلدة منذ زمن... لكني لن أنسى ابدا حادثا غريبا مشابها .. قبل بضعة أشهر على ما أتذكر اقترض شاب سيارة أسرته، وخرج بها إلى الطريق السريع المجاور للمحمية ويبدو لسبب ما أنه أخرج رأسه من السيارة واحتك بحاجز الأشجار ......

رفعت حاجبي دهشة مما تقول، فنظرت إلى انعكاس وجهها في نظارتي وأضافت:

- لم يكن مأمورًا، ولم يكن معه أحد.. كان مراهقا عاديا بلا مشاكل واضحة.
- وكيف عرفتم أنه كان وحده؟
- تهشمت السيارة تمامًا يا (ماري)، فأين ذهب من كان معه؟!

قلت لها إن للمراهقين حياة خاصة سرية، ومشاعر لا يعرف عنها أحد شيئا... ربما من يظنونهم مراهقين عاديين لم يكونوا عاديين على الإطلاق.

رن هاتفي المحمول، فاستأذنتها لأرد على....

- (يحيى)؟ أين اختفيت؟!
- كنت أجول هنا وهناك.

حكيت له عن واقعة أمس، فلم يُعلّق أثار هذا حنقي، لكني لم أبين هذا.

- (يحيى)، سأنتظر وصولك يوم الثلاثاء القادم كل شيء معد لاستقبالك سأرسل لك جواز سفر وبطاقة ائتمان وكل شيء.. لا تنس أن تحفظ اسمك الجديد جيدا، وألا تتحدث العربية مطلقا ما دمنا هنا.

لم يرد، فأنهيت أنا المكالمة.. سيأتي.. أعرف أنه سيأتي، لا خيار له يجب أن يظل تحت نظري.

التساؤلات السادسة

ثلاثة أشياء تجعلني أبتعد عن (مريم)..

الأول أنها تراني أكثر من اللازم..الثاني أنها تتجسس علي. الثالث أنني حلمت بها قبل رؤيتها بخمسة وثلاثين عاما.

(يحيى)

صيد فيل مجنّح

عنــدما يرانــي أحــد الأمــريكيين يحتــار فــي تحديــد جنســيتي للحظــات.. أنــا أسـمر البشــرة، أجعـد الشــعر ملامحــي متوسـطة الحجـم... أبـدو شـرقيا، إفريقيـا، لاتينيـا، هجينـا.. فـي الولايـات المتحــدة يصــعب تحديــد أصــل أي شــخص نتيجــة الهجــرات واخــتلاط الــدماء المســتمر. لــذا، إن زعمــت وأنــا مــع (مــريم) أننــي أيرلنــدي فلــن يكــذبني أحــد.. لكنهــا اختــارت لــي ببســاطة الجنسية التي يقع تحت مظلتها كل الألوان والأجناس.

- (رايان فليمنج).. أمريكي.. صديقي المقرب.

نظــرت لــي (لايــرا) بعينــين ضــيقتين ورثتهمــا مــن أصــولها النقية، وقالت:

- مرحبا (فيلمنج).. ماذا تعمل ؟
- كاتبًا.. أكتب الروايات.

رفعـت حاجبيهـا إعجابًـا.. كـل أمريكـي تقريبًـا قـد كتـب كتابـا فـي مرحلـة مـا مـن حياتـه، أو طمـح إلـى الكتابـة، والكـل يعتبـر نفسـه كاتبًا حتى لو لم ينشر شيئًا.. قالت (مريم):

- الحـادث المؤسـف الـذي وقـع هنـا جعلنـي.. لا أعـرف كيـف أصـف هـذا.. كـأنني أعـيش فـي الماضـي، وقـت انتحـار أخـي.. احتجـت إلـى (رايـان) ليثبـت وجـودي فـي الوقـت الحالي... لا أريد الانجراف إلى تلك الفترة.

قالــت (لايــرا) وهــي تبتســم فــي وجهــي مُستحســنة مــوقفي البطولي:

- يجـب أن تتأكـد يـا (رايـان) واسـمح لـي بالتباسـط مـن أنهـا تحارب معركتها الحالية، لا معركة من الماضي.

أعتقد أنها تقصد معركة (ماري) المزعومة مع المرض المميت.. هززت رأسي في شرود. نظرت لي (مريم) كي أنطق بكلمة أفتح بها طريقا لما جئنا من أجله، لكني لم أتكلم، فقالت هي:

- لا يمكن أن نتناسى معارك الماضي التي لم نخُضُها يا (لايرا).. ربما الأفضل أن أرتكز إلى وتد قوي وأنا أقتحم صفوف الانتحار القوية.. ما حدث لأخي لم يأخذ حيزه الحقيقي من تفكيري. لقد هربت إلى الاكتئاب والانغماس في العمل، وها هي معركتي القديمة تدق طبول الحرب مرة أخرى... لا يمكن أن أفر.

كنت شاردا في النظر عبر نافذة مكتب حماية الحياة البرية الواسعة، التي تغطي مساحة الحائط الشرقي بالكامل.. هذا هو المكان الذي رأيته في رؤاي.. ثمة قاتل طليق هنا، قاتل متسلسل على الأرجح، وإلا ما رأيت تلك الرؤى ذات الصلة ببعضها.

تأكدنا من وقوع حادث منها، حادث الشاب الذي ارتطم بحاجز الأشجار، ولم نتأكد من وقوع باقي الرؤى وما إن كانت حدثت بالفعل أم أنها ستحدث في المستقبل.

أما المشنوق، فلم أره في رواي قط.

وأما الشاب الذي رأيت بيته من الداخل فهو قطعا هنا.. بيته ذو الوجوه المحفورة عند المدخل، ما هو إلا بيت مثل العشرات في البلدة، أعمدتها محفورة بنقوش الطوطم المميزة لقومه، وخاصة تلك الجزيرة التي حافظت على هويتها

الأغـــراض ســياحية سياســية فـــي المقـــام الأول، وإيمانيـــة فـــي المقام الثاني.

كانـــت (لايـــرا) تقـــول لـــي شـــيئا، لكنـــي لـــم أســـمعها فكـــررت سؤالها

- هـل تـود أن ترتـاح قلـيلا يـا (رايـان)، قبـل أن نأخـذك فـي جولة خاصة في بلدتنا الجميلة ؟

هكـذا، ركبـت (مـريم) سـوار تتبـع آخـر، بعـدما أرسـلت لـي كـود فـك السـوار القـديم، قبـل مـروري مـن بوابـة المطـار، ثـم قـادتني إلـى النـزل الـذي تقـيم فيـه.. دخلـت الغرفـة التـي حجزتهـا لـي، وفوجئت بحاجياتها متناثرة في كل صوب.

- هل تتوقع أن أحجز لك غرفة منفصلة ؟

رفعت يدي بالسوار وقلت:

- وما فائدة هذا إذن؟
- فائدتـه أننـي لـن أسـتطيع حبسـك طـوال الوقـت يـا (يحيـى).. أنـــا فقـــط أرغـــب فـــي مراقبـــة رؤاك.. لمـــاذا أخفيـــت عنـــي أمر الشاب المشنوق ؟
- أنا لم أره.
- حقا؟

قالتهـا ضـمن حملـة التشـكيك التـي تحـاول انتـزاع المعلومـات بهـا منـي.. رفعـة الحاجـب الابتسـامة التـي لا تمتـد إلـى العينـين أبـدا، فرد الظهر والكتفين لتبدو أضخم.. لقد اعتدت كل هذا.

- لا أرى سببا لأخفي عنك شيئا الآن.

- بل السبب واضح والرغبة مُلحة .. لنا هدف مشترك، ومنهج مختلف.
- لن أقيم في الغرفة نفسها معك يا (مريم) لست من محارمي

ضحكت (مريم) وهوت جالسة على طرف الفراش ثم نظرت لي بعينين دامعتين

- محارمك ؟ حسنا، أنا متحضرة ولن أسخر من معتقداتك.. لكن لماذا قد تشكل خطرًا علي؟ ولماذا تعتبر تواجدك معي قد يستدعي شيطانا ما؟ سوى شيطان القتل طبعا.
- المحرمات محرمات يا (مريم) حتى لو كنت أراك مجرد أفعى.
- نتزوج؟ لا مانع لدي.. سأعتبره عقد شراكة.

عقدت حاجبي مشمئزا منها، واستدرت لأنصرف، لكني تعثرت وسقطت أرضا. كانت (مريم) لا تزال جالسة على طرف الفراش لم تتحرك قيد أنملة، إلا أن ساقها التي مدتها في ثانية قد عرقلتني.

- لا تستفز الضواري أكثر من اللازم يا (يحيى) .. ستقيم هنا، وستنام على هذه الأريكة أو أنام أنا عليها، لا فارق.. سأتركك تتحرك بحرية عندما أريد... لا تنس... أمك في حوزتي بشكل أو بآخر.

ألقيت حقيبتي أرضًا وأنا أقوم واقفًا.. (مريم) انتقلت من مرحلة التحكم بي إلى مرحلة كسر أنفي مباشرة.. كأنما تدرب حيوانا في سيرك

- (مريم).. لا تستهيني بما يمكنني فعله عامدًا أو مجبرا.
- الضغط هو العامل الأهم في تحويل المجني عليه إلى مجرم.. هذه قاعدة مهمة.

ماذا تريد مني هذه اللعينة ؟ تريدني أن أعثر لها على قاتلها المتسلسل المثالي؟ أم أكون أنا هو؟!

- نم الآن سأترك لك الغرفة.. في المساء سنبدأ.

ثم قامت مغادرة بلا كلمة أخرى أو تفسير.

القرد.

القرد.

قـرد ضـخم يتـربص خلـف الأشـجار، يتـابع حركـة شـابين فـي غابة ما الوجوه على أعمدة الطوطم تحدثني، تستغيث بي.

مايداي.

مايداي.

مايداي.

تمثـال السـمكة العملاقـة أمـام مطـار (ساندسـبيت) يلفـظ جثثًـا، كـل واحـدة منهـا مقتولـة بطريقـة مختلفـة .. تنظـر فـي السـمكة وتطلـق استغاثة أخيـرة.. قـال لـي سـائق سيارة الأجـرة، وأنـا فـي طريقي من المطار إلى مكتب حرس الحياة البرية: إن اسم

التمثـال «روح ساندسـبيت« وإلـه جـزء حـديث مـن فنـون (الهايدا) القديمة، يُرحب بالزائرين منذ عام 2002.

لسـت سـائحًا يـا عزيـزي السـائق، لقـد رأيـت هـذه السـمكة مـن قبـل أن آتـي إلـى هنـا.. رأيـت الطـواطم والوجـوه ذات الأعـين الضيقة، والغابات ومحميات السكان الأصليين.

هذه السمكة، فأين القرد؟

غـارق فـي عـرق ،بـارد ملقـى علـى الأريكـة كجـورب أنهكتـه سـاعات الحـبس الطويلـة فـي حـذاء، أحـاول أن أعـود إلـى الواقع..

متى انزلقت في هذه الرؤى؟ أم تراها هلوسة ؟

أشهق وأقوم جالسًا، أنظر إلى حجرة النزل من حولي؛ لأتأكد من أنني استيقظت حقا.

جسدي يؤلمني... قلبي يدق بعنف...

خلال الأشهر السابقة لم أتوقف عن محاولة البحث عن مكان أمي باستخدام التنويم المغناطيسي الذاتي والإسقاط النجمي، لم أنصت إلى نصائح صديقي (كيفين) المُختص في التنويم المغناطيسي؛ إذ حذرني من قدرتي الغريبة على التدرج صعودا في سلم التحرر من الجسد المادي دون معين، دون مجهود، دون إرادة.

قال لي:

- (يحيى)، في يوم ستدخل غيبوبة لن تستيقظ منها أبدا.. إن ما تفعله ليس خطرًا فحسب، بل لا إرادي.. أنت لا تتحكم في ارتباط جسدك النجمي بالمادي..
- يجب أن أعثر على أمي.
- أنت لا تتحكم في نفسك يا (يحيى) .. هي لا تستغيث؛ لذا لن تجدها! أليس هذا هو القانون الذي تسير عليه موهبتك ؟ يستغيث أحدهم، فتسمع استغاثته عبر الزمان والمكان؟

لكني لم أكترث لما قال... أو لأكون أكثر دقة، لم يكترث عقلي الباطن. وهأنا الآن أغفو، فأهلوس بما لا يمكن أن يكون قد حدث.. أي قرد وأي سمكة؟!

أنا أبحث عن ضحايا.. عن جان مختل... ماذا أفعل هنا ما لم أكن قادرًا على تلبية النداء ؟!

أقـوم مترنحـا لأسـتحم أرتكـن إلـى الجـدران فـي طريقـي إلـى الحمـام.. قبـل أن أديـر مقـبض بابـه أسـمع صـوت شنشـنة ..ورق.. ألتفـت إلـى يسـاري لأرى ورقـة دشـت مـن أسـفل فرجـة البـاب... أفـتح بـاب الغرفـة سـريعًا، فـأرى فـي نهايـة الممـر خافـت الإضـاءة أحـدهم يعـدو.. لـم اسـتطع أن أحـدد جنسه، لكن شعره طويل، نحيل، بدا لي ذكرًا.

- أنت! انتظرا

نظر لـي مـن خلـف كتفـه للحظـة، ثـم أكمـل عـدوه.. جريـت خلفـه نـزولا علـى الـدرج، ثـم عبـر الردهـة الصـغيرة إلـى الشـارع.. حركتـه أخـف منـي.. كـان يقفـز مـن فـوق مقـدمات السـيارات فـي باحـة الانتظـار، فيقطـع مسـافة مسـتقيمة لا أقـدر أنـا عليهـا وأنـا أجـري وأدور بـين السـيارات فـي مسـار يُشـبه الزجـاج.. لـم أعـد أرى الآن سـوى شـعر اسـود كثيـف يبتعـد... يـأتي موظـف الأمن من خلفي يسألني بالإنجليزية

- هل سرق منك شيئا؟
- هل رأيته يدخل؟

دخـل منـذ دقـائق فـوج سـياحي، ولـم أميـزه بيـنهم، لكـن ربمـا دخـل معهـم.. رأيتـه خارجـا وناديتـه فلـم يتوقـف.. هـل سـرق منك شيئا؟

يكـرر سـؤاله كأنـه هـو الأهـم علـى الإطـلاق.. اهـز رأسـي نافيـا، ثـم أبتعـد عنـه قلـيلا وأفـتح الورقـة المطويـة التـي مـا زالـت فـي يدي.

(يحيـى)، ابتعـد عـن هنـا.. ابتعـد لسـلامتك وسـلامة الجميـع.. ابتعد عن (مريم) وكف عن العبث بالزمن والمكان. ابتعد».

الكلمات بالإنجليزية بها بعض الأخطاء الإملائية الواضحة خاصة في كتابة اسمينا.. من هذا الشاب؟ ومن أرسله؟ أعود إلى رجل الأمن وأقول له:

أعتقد أنه سرق مني شيئا.. أريد مراجعة كاميرات المراقبة.

في مكتب الأمن في الفندق، رأيت على شاشة كاميرا المراقبة ما لم أتصوره.

الشاب الذي تبعته إلى بيته في رؤياي هو ذاته الذي دس الورقة أسفل الباب، الفارق الوحيد أن شعره في رؤاي كان قصيرًا مصبوغًا... هذا الشاب سيقص شعره ويصبغه خلال أسبوع.. هذا ما عرفت من رؤاي والتاريخ على هاتفه المحمول فيها.

كيف يعرفني ويعرف (مريم)؟ بل وكيف يعرف محاولاتي لاجتياز حاجز الزمان والمكان؟! لا يعرف أحد هذا إلا (مريم) وأمي فقط ما زال باب السيد (فادي) الذي قتلته لم يُغلق... أتذكر أنني لم أعرف ماذا كان يريد مني عندما زارني وماذا كان يعرف عني تحديدًا.

أم تراها (مريم) من طلبت من هذا الفتى إرسال الورقة؟ لا.. (مريم) تريد مساعدتي، ولن ترسل لي ما يجعلني أرتاب فيها أكثر.

يسألني مدير مكتب الأمن في النزل، إن كنت أريد إبلاغ الشرطة، فأجيبه أن الأمر بسيط، وعليهم فقط أن يبلغوني إن رأوه مرة أخرى.

أعود إلى الغرفة لأجد هاتفي يرن.

- إلى أين ذهبت؟
- (مريم).. لقد عدت سريعا ولم أبتعد.

تكرر كلماتها متفرقة

- إلى.. أين.. ذهبت؟
- كنت أبحث عن ماكينة سحب أموال.
- الماكينة في مدخل النزل يا (يحيى).
- لم أرها يا (مريم)! أظنك رأيتني لم أبتعد.
- رأيتك تتحرك بسرعة.. تعدو... لا أظنك كنت في حاجة إلى المال بهذا الإلحاح...
- إلى أين ذهبت؟
- (مريم).. افعلي ما بدا لك.

التساؤلات السابعة

هـذا الرجـل يخفـي شـيئا لكـن مـاذا قـد يكـون؟ ولمـاذا شـعرت بتهديد في كلامه؟

هل لأنني أراقبه كما يراقبني؟ هل يراقبني فعلا؟

(مريم)

صيد فيل مجنح

تقف (لايرا) أمام طلبة المدرسة الثانوية العليا الجالسين إلى مكاتبهم في الصف تقول:

- لحسن حظنا أن الآنسة (ماري جوزيف) قد انضمت إلينا في مكتب حرس الغابات والحياة البرية، وقد تطوعت اليوم للقائكم والتحدث معكم عن المكتب وعن فرص التطوع فيه.. هذه فكرتها، وقد راقت لي جدًا، ومتأكدة أنها ستروق لكم.

ينظر الطلبة لنا في ملل وعدم اكتراث. أعرف أن لا أحد منهم يهتم بالحياة البرية أو الغابات وهم محبوسون فيها؛ كأنهم جزء منها ومن تراث قديم يكبلهم...

تلك الوجوه من (الهايدا) تكره كونها نوعا من أنواع الحياة البرية التي تحاول الحكومة الحفاظ عليها، حتى لا يصمها أحد بالعنصرية.. الحقيقة أنني لا أراهم سوى جزء من الحياة البرية بالفعل حيوانات نادرة لا حق لها في الحياة إلا لوزبذلت جهدًا كافيا للتحول من فرائس إلى مفترسات وإلا فمصيرها للانقراض مثلها كمثل غيرها مما انقرض في مواجهة الطبيعة أو الإنسان.

أجلس على المقعد الذي تركه لي المعلم راضيا، وذهب لشرب القهوة، وأتحدث كثيرًا عن الإنقاذ، عن التوازن البيئي، عن الطب البيطري... أي هراء يجعل هؤلاء الشباب ينعسون، ويجعل (لايرا) أكثر ثقة بي؟

بعدما أنتهي أطلب من (لايرا) أن تلتقط لي صورة معهم.. الأسهل أن يأتي (يحيى) معي ويبحث بنفسه عمن رآهم في رؤاه لكني لا أثق فيه.. خاصة بعد مكالمتنا الأخيرة.

لزيادة التوكيد التقطت لنفسي صورًا «سيلفي» أبين فيها ما أستطيع من الطلبة الذين يتدفقون من البوابة ورائي بعد انتهاء اليوم الدراسي.. لا يزيد طلبة الثانوية العليا عن أربعين طالبًا، منهم بعض المقيمين في (ساندسبيت)، ومنهم المقيمين في البلدات المجاورة.. قلت لـ (لايرا) ونحن في سيارتها بعدما استحضرت دموع التماسيح في عيني:

كل واحد منهم يا (لايرا) يذكرني بأخي... لا أستطيع تجاهل ما يحدث هنا..

هل من طبيب نفسي في البلدة؟

- لا للأسف.. أقرب مصحة نفسية على بعد خمسة وخمسين كيلومترًا.
- آه.. بعيدة.. هل في المدرسة مختص نفسي؟
- نعم.. الآنسة (روكفورد).. وهي معلمة مادة الأحياء أيضا.. أنت تعرفين أن المدرسة صغيرة، لا كمدارس المدن الكبرى.
- مفهوم... هل يمكن أن أقابلها؟ أريد أن أعرف أكثر عن هؤلاء الشباب، كيف يفكرون، بم يشعرون.. هل يمكنك إقناعها بلقاء معها، وربما معهم تحت إشرافها؟

- لا مشكلة.. دعيني أمر عليها في بيتها اليوم.

- هل يمكن أن أرافقك ؟

نظـرت إليهـا بعينـين متسـعتين بـريئتين، طالمـا خـدعتا أبـي وأنـا طفلة، فضحكت وقالت:

- هـل ألقيـت علـى تعويـذة محبـة يـا فتـاة؟ لا أسـتطيع أن أرفض لك طلبا.

لا تعاويـذ، لكـن مـن قـد يـرفض طلبـا لشـابة تحتضـر؟ لقـد اختـرت الاقتـراب أكثـر مـن (لايـرا) لهـذا السـبب.. هـي أم أكثـر مـن أي شـيء ام أكثـر مـن أي شـيء آخـر، وأسـهل شـيء هـو التلاعـب بمـن هـم مثلهـا.. سـتريد أن تعـانقني، وتخبئنـي مـن المـوت فـي صـدرها .. سـتبكي كثيـرا لـو تألمـت... سـتحميني من أي شيء؛ لأنها لن تصدق أن (ابنتها) تكذب.

أرسل الصور التي التقطتها لـ (يحيى) واكتب:

- صوري مع طلبة الثانوية العظام.. ما رأيك؟».

بعد دقيقة تصلني رسالته:

«أعتقد أنني وجدت شيئا».

يبـدو أن الآنسـة (روكفـورد) لا تُرحـب بالغربـاء، لكنهـا استقبلتنا علـى أي حـال، ولـم تسـمح لنـا بالـدخول إلـى البيـت.. جلسـنا فـي شـرفة خارجيـة كئيبـة متربـة ترفـع سـقفها أعمـدة الطوطم المحدقة إلى الأفق.

كل شيء بني جاف، يشي باكتئاب الساكنين هنا.

فـي ملامـح الآنسـة (روكفـورد) مـا يشـير إلـى أنهـا ليسـت نقيـة الـدم.. عيناهـا واسـعتان زرقـاوان وبشـرتها باهتـة .. فيمـا عـدا ذلـك كانـت تشـبه (الهايـدا) فـي شـعرها وهيئتهـا وجسـدها وأنفهـا الأفطس قليلا.. تباسطت (لايرا) وقالت لي:

- (تالا) تسكن في بيت والديها هي وأخوها وكما ترين المكان منعزل إلى حد كبير؛ مما جعلها لا تفضل استقبال الغرباء.

قالت (تالا روكفورد)

- أنا لا أفضل استقبال الغرباء عامة في بيتي.. ليس عن عدائية بالطبع... والدي مصاب بالزهايمر والغرباء يربكونه، وأي صوت غير مألوف يتسبب له في نوبات هياج.

هززت رأسي باسمة متفهمة.. قلت لها:

- آسفة لإزعاجك، وآسفة لمرض والدك.. والدتك تعيش هنا، أليس كذلك؟
- نعم... كلاهما ،مسن وحركتهما قليلة.. لذلك أيضًا ليست لي حياة اجتماعية بعد انتهاء اليوم الدراسي.

أعرف أنها تجيب عن أسئلة لم تخطر على بالي بعد، ويبدو أنها اعتادت على اتهام الناس لها أنها عدائية أو مغرورة أو ... أو ... قصة حياتي يا (تالا)!

رأيت شابا نحيفا متوسط الطول، ذا شعر طويل اسود لامع، ووجه محمر مبتل بالعرق، يسير متعجلا متجها إلى المنزل.

قالت (تالا) في حرج واضح

- أخي.. (ولف).. (ولمستون).

أبتسم للشاب، لكنه كان ينظر إلى الأرض ويسرع الخطا إلى المنزل.. سألته (تالا) عما به، فأشار بيده أن لا شيء ثم دخل وأغلق باب المنزل بعنف.

هذا شاب مضطرب مكروب.. وجه (لايرا) يخبرني أن تصرفه وربما وجوده سبب لها حرجًا بالغا .. قلت لها كي أغير مسار المشهد

- كما أخبرتك (لايرا) هاتفيا، أنا أعاني مرضًا لا شفاء منه، وكنت هنا في رحلة استجمام أخيرة، عندما وقع حادث القتل أو الانتحار، لا أعرف.
- حفز الحادث الصدمة القديمة، أليس كذلك؟
- رأيت أخي في الشاب المعلق على الشجرة.. أدركت وقتها أنني لم أتعامل مع صدمتي القديمة كما يجب، وأنني سأرحل عن العالم وبعض الأمور معلقة في نفسي... لا أحب أن أغلق الكتاب قبل أن أقرأ كل صفحة فيه، لكني اكتشفت أنني فوت فصلا كاملا من حياتي.
- أفهم هذا.. كيف أساعدك؟

- كنت أفكر في أن أعرف أكثر عن حياة المراهقين هنا، لقد أحببتهم حقا بعد لقائهم في المدرسة، لكني أتوسم فيكِ أكثر مما قد يمنحه لي حديث عن آخرين.. أنت مختصة نفسية.. هلا ساعدتني سأدفع لك بالطبع مقابل الجلسات.. لا وقت لدي للعودة إلى الولايات، وقد قررت بالفعل المكوث هنا وسط الطبيعة، وبحثت سريعا عن معالج نفسي بالقرب من (ساندسبيت) فلم أجد.

تدخلت (لايرا) في حماس لمصلحتنا:

- لا أعتقد أن (تالا) ستمانع اسمعي يا (تالا) أنت بارعة.. وبعض المال الإضافي سيساعدك لقد كانت (تالا) تصنع حلوى رائعة وتبيعها للمقاهي هنا، لكنها كفت مؤخرًا عن هذا.. هذا سيعوض ذاك يا (تالا)

نظرت لها (تالا) نظرة معترضة، فصمتت (لايرا) وانتفخ لغدها السمين في حرج.. قلت أنا:

- أنا حقا في حاجة إلى مساعدتك، لكن إن كنت أتقل عليك ....
- حسنًا.. جلستين في الأسبوع.. إن رأيت أنك في حاجة إلى أدوية أو شيء من هذا القبيل فلن أكمل علاجك وحدي لا بد من طبيب نفسي يكتب لك الأدوية.

ابرمنا الاتفاق، وطلبت منها أن نبدأ الآن؛ كي لا نضيع وقتا، لكنها طلبت مني إرجاء الجلسة الأولى إلى الغد؛ كي تستعد وتجهز مكانا مناسبا للقاء.

إنها تحتاج إلى المال هذا واضح، وأعرف أنها قد لا تكون مؤهلة لعلاج الصدمات.. أعرف كل هذا، لكن صلتي بها ستكون ذريعة، لزيارات متكررة للمدرسة أو لبيتها .. ذكرت لي (لايرا) من قبل أن أخاها من طلاب الثانوية العليا، فأين كان ولماذا لم أره هناك؟

قال رجل حكيم ذات مرة: أن الفضول هو أولى خطايا البشر وأنا أرى أن تفرد البشر هو ما يحسبه الناس خطايا.

عرجت على النزل فاخذت (يحيى) إلى مطعم قريب لنتناول العشاء... قال لي وهو يشير إلى فتاة مراهقة في الصورة:

- هذه.. سوف.. سوف تذبح نفسها في المغطس.
- وأنت لا تعرف متى.
- بالضبط.

سوف أراقبها إذن... لم ير (يحيى) في الصورة أيا ممن ظهروا في رؤاه من قبل،

هذا يعني أن الباقين قد انتحروا بالفعل... لماذا لا يعرف أحد بشأنهم إذن؟

أن فتاة مجفف الشعر قد ماتت بالفعل في وقت سابق.

- هذا يعني

ربما .. (مريم) .. ثمة ملاحظة عابرة قد لا تعني شيئا .. مجفف الشعر في الرؤيا يشبه ذاك الذي كانت تستخدمه أمي في مطلع الثمانينيات.

- مجفف شعر عمره أكثر من أربعين عامًا وما زال يعمل ؟ أم أن ...؟

- أم أن الجريمة التي رأيتها وقعت في وقت ما من الماضي؟

لو أن الجريمة وقعت منذ عشرات السنوات فهذا يعني أن القاتل مسن، وقد كان يمارس عمله ثم توقف، وعاد مرة أخرى الآن.. تقول إحصاءات القتلة المتسلسلين، إن أغلب القتلة يتوقفون تمامًا عن القتل بعد سن الخمسين خاصة لو اعتلت صحتهم وصار الهرب أو إخفاء الجثث أمرًا شاقا.. بعضهم يفقد الاهتمام بالقتل والنادر منهم من يبدأ القتل أساسا في سن متقدمة.

- نحن نبحث إذن يا (مريم) عن قاتل كبير السن.
- ربما .. أريد أن أتأكد أولا، من أن فتاة مجفف الشعر قد ماتت حقا، وأنها كانت من سكان هذا المكان.
- ماذا تعنين؟
- الا يمكن أن تكون قد استقبلت استغاثة لا علاقة لها بما يحدث هنا؟
- مستحيل.. فتاة مجفف الشعر لم تصلني في استغاثة، بل من صورة داخل رؤيا الفتى النحيل.. صورة في هاتف محمول يا (مريم) صورة في هاتف محمول ... إما أن في البلدة من يستخدم مجفف شعر عتيقا، أو أن الصورة قديمة وأرسلت إلى الفتى لسبب ما
- صف لي هذا الشاب.. صف بيته.
- لقد أخبرتك من قبل.. شاب نحيل طويل الشعر يعيش في منزل محاط بأعمدة الطوطم.
- طويل الشعر؟ أعتقد أنك أخبرتني أنه ذو شعر قصير مصبوغ

قال في ارتباك

- بل كما أخبرتك من قبل.. قصير الشعر.. ارتبكت فقط.

(يحيى) يكذب... أسأله:

- صف المنزل أكثر.
- منـزل خشـبي ذو شـرفة خارجيـة محمولـة علـى أعمـدة طوطم... لماذا كل هذه الأسئلة ؟
- التفاصيل مهمة يا (يحيى).

التفاصـيل.. الشـرفة والطـواطم والفتـى النحيـل ذو الشـعر الطويل.. (ولف)؟

أيعقـل؟ لـم لا؟ لمـاذا كـذب (يحيـى) بشـأن وصـفه فـي المـرة الأولى؟ هذا الرجل يثير جنوني.

قطـع البـازل تكمـل الصـورة تـدريجيا .. مـن أنـت يـا (ولـف)؟ ومـاذا تخفـي؟ ومـا علاقتـك بالفتـاة التـي سـتذبح نفسـها، وتلـك المصعوقة بمجفف الشعر؟ ثم خطر لي خاطر

- أنـت رأيـت رؤيـا فيهـا فتـاة ترمـي نفسـها أمـام حافلـة.. لا حـافلات هنـا.. حتـى السـائحون ينقلـونهم فـي عربـات مخصصة صغيرة، أو سيارات أجرة.

أعـرف أن (يحيـى) يحـدق فـي وجهـي مفكـرًا مـن خلـف نظارتـه... هـل تكـذب علـي يـا (يحيـى)، وتضـللني بـرؤى كاذبـة؟ لقد حـذرت منـك، وكـذبت علـى مـرات، فلمـاذا أثـق بـك؟ لـن أخبـره أننـي وجـدت الفتـى (ؤلـف) وبيتـه. يجـب أن أتحـرك وحـدي وأتـذكر أن (يحيـى) لـيس إلا جهـاز اسـتقبال لا أكثـر. جهاز استقبال ماكر.

التساؤلات الثامنة

كنت صغيرًا وقتها، والعالم في عيني أبيض أو أسود، والمجنون بالنسبة لي هو من يهيم في الشوارع أشعث الشعر أغبر الملابس، يُخرف باستمرار.

(يحيى)

صيد فيل مجنح

أنا سجين غرفة الفندق اللعينة هذه.

(مـريم) نائمـة علـى الأرض خلـف الفـراش، بحيـث لا أراهـا إلا إذا درت حولـه.. هـذه هـي فكرتهـا عـن الخصوصـية أقـف أمـام النافذة لا أرى شيئا في الليل البهيم !

المزيـــد مـــن الطـــواطم.. المزيـــد مـــن وجـــوه الحيوانـــات المرصوصة فوق بعضها البعض،

تنظر إلينـا فـي كآبـة.. رائحـة اليـود مـن المحـيط تـذكرني برائحـة الإسكندرية؛ موطن أمي.

رجـال الأمـن مـن النـزل والمحـال القريبـة يجتمعـون فـي زاويـة يأكلون ويثرثرون.

شـخص يسـير فـي تـؤدة عبـر الشـارع، ثـم يسـير بمحـاذاة سـور حديقــة النــزل.. لا بــل شخصــان... يقــف الأول أمــام المــدخل للحظـات.. رأسـه يرتفـع إلـى أعلـى... إلـى الطـابق الرابـع حيـث أقـف.. رأسـه غريـب، كبيـر الحجـم إلـى حـد يـدفعني للظـن أنـه يرتـدي خـوذة عملاقـة أو مـا شـابه.. بعـد تلـك اللحظـات يتلفـت إلى الآخر معه، ثم يشير إلى نافذتي.. نعم.. هو يشير إليها!

- (مريم)!

تنــتفض ســريعا مــا إن همســت باســمها.. تقفــز عبــر الفــراش وتنظر لي متسائلة..

جسـدها متـوتر يقـظ، وحقيبتهـا السـوداء تتـدلى مـن حـزام حـول صــدرها.. أشــير لهــا نحــو البوابــة، فــأرى ذا الخــوذة يبتعــد فــي ثقـة، وأرى الرجـل الآخـر يمسـك شـيئا فـي يـده.. قبـل أن أدرك مـا يحـدث أجـد نفسـي علـى الأرض و (مـريم) تثبـت كتفـي إلـى

الأسفل في اللحظة نفسها التي سمعت فيها دوي إطلاق رصاص.

- لقد حاول قتلك.. امكث هنا.. لا تقف.

أغلقت (مريم) كل أنوار الحجرة، ثم هرعت خارجة من الباب وحقيبتها الصغيرة التي لا تخلعها، حتى وهي نائمة تطير من خلفها.. هرعت وراءها منحني الظهر.. كم هي سريعة .. أعرف أنها تمارس رياضة العدو، لكني لم أتصور سرعتها فهد بشري.

عندما وصلت إلى بهو النزل كنت قد فقدت أثرها .. رجال الأمن يتحدثون في اللاسلكي.. بعض السائحين يطلون من أعلى الدرج الموظفون يحاولون تهدئة الجميع، ويدعون أن صوت الرصاص صادر عن بندقية صيد لا أكثر.

أين ذهبت (مريم)؟

بعد نصف ساعة من الانتظار في البهو، رأيتها تأتي من مكان ما داخل الفندق.

- أين كنت ؟
- تبعته

كيف وهم يمنعوننا من مغادرة البوابة؟

- هل تظن أنني لم أدرس مخارج النزل ومداخله يا (يحيى)؟ هل نحن سائحان حقا؟! ركز

صعدنا إلى الغرفة وأغلقت الباب.. سألتها عما فعلته مع الرجل الذي حاول قتلي فقالت:

- فر.. هذا كل شيء.

لا أعرف هل أصدقها أم لا.. يبدو لي الرجل غير محترف، فالرصاصة أصابت جدار الطابق العلوي بفارق مسافة كبير عن الهدف.. تراه أراد قتلي أم أراد قتل شخص آخر؟ هل... هل هو أحد رجال (فادي)، ويحاول اقتناصنا؟ لا تفسير سوى هذا.. سألت مريم عما يجب علينا فعله فقالت لي إن الرجل غير محترف وإن....

- يجب أن تخرج يا (يحيى)، لكن ليس بمفردك.. أستطيع العثور عليه لو أغويناه بقتلك.
- سأكون طعما؟!
- أمامك ثلاثة اختيارات، إما أن المكث في الغرفة منحنيا وتتحاشى النوافذ وفتح الأبواب لأي شخص، وإما أن تخرج وحدك ويقتنصك القاتل، وإما أن تخرج معي وتكون طعما واعيًا، وأعدك أنني أستطيع حمايتك والإمساك بالفاعل... أنا متأكدة من أنه ليس محترفًا.

ضحكت ضحكة مريرة.. سفاحة ستحميني من القتل... أعرف أنها ستفعل، ولن تغامر بقتلي، ليس لأنني ابن خالتها لا سمح الله بل لأنني مصدر من مصادرها لا أكثر.

تلح على عقلي الرغبة في الفرار منها .. في التمرد عليها .. لتقتلني إن رغبت في ذلك وسنرتاح جميعًا.. لكن أمي.. ستستغلها كما تستغلني الآن.

ماذا أفعل؟!

أرى الفتى المحلي ذا الشعر الطويل أراه- قصيرًا أصفر اللون الآن في رؤاي مرة أخرى.

الفتى يحمل كاميرا تصوير فيديو، ويصور شيئا ما وهو يبكي.. يتناثر على وجهه رذاذ الدماء، فيهلع ويرمي الكاميرا، ثم يتكوّر حول نفسه في الركن...

هذا ركن حمام السيراميك الأبيض خلفه يشبه ما كان خلف الفتاة التي ذبحت نفسها.. الفتاة التي ذبحت نفسها وهي تنظر إلى شخص أمامها.

هذا الفتي هو القاتل.. هذا الفتى يعرفني ويحذرني ويطلب مني ألا أتدخل.

ليس هذه هي المرة الأولى التي أرى القاتل في رؤاي، فقد رأيت من قبل الأب الإيطالي الذي كان سيقتل أبناءه لولا تدخلي فقتلوه ،هم، ورأيت من قبل الرجال الذين يخرجون الجثث؛ ليمثلوا بها مقابل مراهنات في الإنترنت المظلم.

لكن إن كان الفتي هو القاتل فلماذا يبدو مرتعبًا إلى هذا الحد؟ لماذا يبدو مجبرا؟

(مريم) تعرف أكثر مني عن القتلة، لكن يجب ألا أسلمها كل أوراقي هكذا.. هي حرة الحركة ولن تسمح لي بإنقاذ أحد.. هي تريد قاتلها فقط، ولا يهم الضحايا.

أنا حبيس هذا المكان.

ماكينة الصرف الآلي أسفل الفندق.

المرشدون السياحيون من المحليين البسطاء في كل مكان.

فكر يا (يحيى).. فكر.

التساؤلات التاسعة

أنــت فــي خطــر يــا (يحيــى).. لا أعــرف ســبب وجــودك فــي مســارح تلــك الجــرائم، ولا أتوقــع أن تبــرر لــي هــذا، لكــن فــي وسعي مساعدتك.

(مريم)

صيد فيل مجنح

أعـرف مخـارج الفنـدق الإضـافية، وأعـرف أيضًـا أن حمامـات العمـال فـي الطـابق الأرضـي، تفضـي إلـى زقـاق خلفـي مـواز للطريـق الرئيسـي.. يجـب أن أعـرف كيـف سـافعل لـو اضطررت.. هذه هي خيالي ببساطة.

ملايـين الاحتمـالات والتباديـل والتوافيـق، وعلـي أن أحفظهـا جميعا وأكون مستعدة للعمل وفقًا لها.

قفـزت مـن فـوق السـور السـلكي بـين النـزل والزقـاق، وهأنـا الآن خلـف الرجـل الـذي يعـدو، لا يفصـل بيننـا سـوى عشـرين مترا.

إن كـان الـذي يجـري أمـامي الآن هـو أنـا، فأنـا مسـتعدة لمقابلـة نفسـي.. هـذا احتمـال ضـمن ملايـين الاحتمـالات التـي لا ينفـك عقلي يفكر فيها ليل نهار.

لكنه لم يكن أنا بالطبع.

عنـدما لـم يعـد يفصـل بينـي وبينـه سـوى بضـعة أمتـار تعرفتـه.. وعندما ناديته باسمه التفت نحوي.

- (ولف).

اتسـعت عينـاه ذعـرا وحـاول زيـادة سـرعته، فانفَـك مـا كـان يـربط بـه شـعره الطويـل وسـقط أرضًـا... خنجـر صـغير.. قفـزت نحـوه كـي أنهـي هـذه المطـاردة، فهـوى أرضًـا وانتشـر شـعره حـول رأسـه.. جررتـه جـرا إلـى جانـب الطريـق خلـف الشجيرات، وكتمت أنفاسه كي لا يصرخ.

- (ؤلف).. رجال الأمن في أثرك.. لا تصدر صوتا.

هـز رأسـه ممتـثلًا.. ظللنـا فـي مكاننـا حتـى مـر رجـل أمـن الفنـدق.. مـن حسـن حظنـا أنهـم محليـون متخبطـون مترهلـون، وإلا لحقوا به قبلي

- ماذا كنت تفعل يا (ولف)؟
- كيف عرفت اسمي ؟
- كنـت فـي زيـارة لأختـك أمـس.. أعـالج عنـدها، ورأيتـك تـدخل المنـزل.. ابتسـمت لـك لكنـك حتـى لـم ترفـع وجهـك تجاهنا.. كانت (لإيرا) معنا.

جلـس الفتـى متربعًـا، ثـم ألقـى مسدسـه ، أرضًـا، وخلـع قفازيـه، ثم راح يمسح وجهه من العرق والحرج.

- مـاذا كنـت تفعـل فـي النـزل؟ وعلـى مـن أطلقـت الرصاص؟
- هل تقيمين هناك؟
- أخبرنـي فقـط، فـي أي شـيء ورطـت نفسـك... أنـا رأيـت شخصا معك.

بكـى الفتـى وراح يرتجـف.. رُحـت أمسـد علـى كتفـه فـي حنـان مصـطنع طبعـا واطمئنـه إلـى أننـا جميعًـا مررنـا بفتـرة مراهقـة ارتكبنا فيها حماقات لا تحصى.

اتفهـم أنـك تعـيش فـي مجتمـع مغلـق إلـى حـد مـا، وبالتأكيـد تخشـى الا يـتفهم أحـد مـا فعلـت.. الوضـع مختلـف فـي الولايـات مـا تورطـت فيـه قـد يكـون مفسـرا بـل ومألوفًـا.. ألا تشـاهد الأفلام الأمريكية يا ولد؟

قلتهـا وأنـا أضـحك وأدفـع كتفـه بقبضـتي ممازحـة .. نظـرة غريبة بدت في عينيه الضيقتين لذكر الأفلام غمغم

- لا أحب الأفلام... أكرهها.

طلبـت منـه أن يحكـي لـي فيمكننـي مساعدته رغـم كـل شـيء، وحكيت لـه حكايـة أخـي المنتحـر، وأدخلـت فيهـا بضـع تفاصـيل عن تورطه في تهريب مخدرات.

- لـو أقسمت لـك أنني لا أعـرف مـن طلـب منـي قتـل رجـل يعيش في النزل ستصدقينني؟
- بالتأكيـد... بـل أتوقـع أن يخفـي هويتـه.. رأيتـه يعتمـر خوذة.

إخفـاء الهويـة جـزء مـن عمـل السـفاحين المُنظمـين طـويلي الأمـد.. أنـا لا أعـرف مـع مـن أعمـل، ومَـن يُرسـل لـي راتبـا شـهريا.. قـد يتوقـع الـبعض أن هـذا تهديـد لـي، لكننـي أهـدد لا شيء أخسره.

- بـل قنـاع قنـاع احتفـالي ممـا نسـتخدمه فـي العـروض السياحية.. قناع قرد.

رجل محلي؟ ربما.. أسأله في اهتمام

- أها.. وماذا طلب منك؟
- طلـب منـي.. طلـب منـي عـدة طلبـات مقابـل مـال منهـا توصـيل رسـائل لشخصـين فـي هـذا النـزل، يقيمـان سـويًا.. و.. وطلـب منـي إطـلاق النـار علـى شـخص كـان يقـف فـي حجرة في الطابق الرابع أمس.

رسائل لشخصين يقيمان في هذا النزل؟!

- وما فحوى هذه الرسائل ؟ أعتقد أنها تهديد مثلا.
- بل تحذير. يحذر شخصا من فيل، والآخر من.. من شخص ما .. وتخاريف وربما شفرة يفهمانها هم... يبدو أنه يعرفهما.. هما يقيمان في الطابق نفسه الذي أطلقت النار عليه، وربما الغرفة ذاتها.. ما اسمك يا سيدتي؟
- الآنسة (جوزيف).

لا داعي لذكر اسم (ماري) الشبيه بـ (مريم).

- أنا فاشل
- أنا لم أصب احدًا.. لكنه سيغضب مني.. أعرف أنه سيغضب مني..
- اساسا.. فاشل وحتى أبي يكرهني.. فاشل ولا يمكنني فعل شيء حيال هذا.

انهار الفتى وبكى متكورا على نفسه.. سألني وهو يقوم ينتوي الفرار لا إراديا مرة أخرى:

- هل ستخبرين اختي؟
- هل تمزح؟ لا بالطبع.. على شرط أن تدعني أساعدك.. أخبرني لو ظهر هذا الرجل مرة أخرى وطلب منك شيئا.. اتفقنا؟

هز رأسه في غير اقتناع، وكأنه يريد أن ينهي الموقف بأي طريقة .. مددت يدي نحوه بالخنجر الصغير، فأخذه ولَفَّ شعره، ثم ثبته به وهو يقول:

- الخنجر استخدامات كثيرة لدينا إن كنت لا تعرفين، ليس من بينها القتل...

هل تصدقينني؟ هذا خنجر أبي، أقصد جدي.. لا.. أبي.

- أصدقك.

أعطيته رقم هاتفي فكتبه على هاتفه المحمول، وسجل اسمي الأنسة (جوزيف).. لاحظت موديل الهاتف ولونه لأتأكد من (يحيى) من هذه التفصيلة...

هل وصلت صورة فتاة مجفف الشعر على هذا الهاتف حقا؟ ابتعد يعدو، فأمسكت أنا المسدس بقفاز مما في حقيبتي، ودفنته بعناية أسفل الشجيرات، ثم عدت أنا إلى النزل من حيث خرجت .. كان (يحيى) في البهو يشرب القهوة، وحوله عشرات النزلاء.. سألني إن كنت قد أمسكت بالقاتل فأنكرت.

لقد وصلت رسالة تحذير أخرى إلى الغرفة، ولم يخبرني (يحيى) عنها شيئا..

رسالة تحذره مني بالطبع .. فهمت لماذا يخفي (يحيى) التفاصيل عني.

ها قد عدنا للمربع الأول هو يرتاب في، وأنا أرتاب فيه..

وكلانا في حاجة إلى الآخر.

في اليوم التالي لاتفاقنا أو اضطرارنا للخروج معًا، قررنا الذهاب إلى معرض اللوحات والفنون المحلية وجدنا طفلا يوزع إعلانات مطبوعة عنه أمام النُّزُل،

وتعرض فيه لوحات من نوع رسم خاص بهؤلاء القوم يرسمون فيه قصصا مصورة بطريقة نقوش وجوه الطواطم والزخارف البدائية المحلية المميزة لهذا المكان بالإضافة إلى منتجات محلية من الأصداف والأخشاب ومشغولات وأدوات طبخ وموسيقى وغيرها.. يحتشد السائحون هنا لشراء التذكارات، وهي بالفعل قيمة، ولا كتلك المصنوعة في الصين، وتباع في متاجر الولايات المتحدة بنصف دولار لم اذهب أنا و(يحيى) معًا، تركته يتحرك وهو يعلم أنني أراقبه.. (يحيى) شخص عادي، ومهما كان حذرًا، فلن يستطيع الهرب من ملاحظتي لكل حركة يتحركها، وكل إشارة تصدر عنه.

جلست أراقب المارة ونظراتهم... فرصة جيدة لبعض العبث الذي سيرضيني ويُرضي رؤسائي، لكن لدي مهمة أخرى الآن.. لتنتظر المراقبة والاختبار قليلًا.

لا الاحظ من يُراقب (يحيى) .. أراه يتحرك بين الباعة، ويتفحص مجموعة سي دي قديمة في اهتمام، ثم يشتري بعضها.. يدور حول منحوتات صغيرة ويشكر بائعا ألح عليه في الشراء، ثم يتوقف متجمدًا أمام مجموعة لوحات بخطوط جريئة وألوان حادة.. لا أرى جيدًا فحواها، لكنني أراه يلتقط لها بعض الصور يرسلها لي فورًا، ثم يتكلم مع فتاة تقف إلى جوارها .. اقترب من اللوحات ومن (يحيى).. أتحدث إليه مبتسمة كانني امازحه لكنني اسأله:

- ما شأن هذه اللوحات وتلك الفتاة؟
- لفت نظري شيء.

أنظر إلى اللوحات المرسومة بألوان متنافرة قاتمة، على عكس باقي اللوحات الأخرى في المعرض ذات الألوان الصاخبة المرحة.. محتوى اللوحات عنيف إلى حد كبير.. أرى في واحدة ساقين أنثويين أسفل الماء، وقد احترق جلدهما وبرزت أوردتهما.. في لوحة أخرى رذاذ دماء على وجه بشري بشع.. لا.. وجه قرد مرسوم بطريقة رسمهم المميزة التي تشبه منحوتات الطواطم... لن يلاحظ أحد وجه القرد إلا إن كان يبحث عنه، مثلي.

أقول لـ (يحيى) وأنا أشير إلى لوحة ثالثة:

- الشجرة الضخمة والحبل ذو الأشواك، الذي يلتف حولها يذكرني ....
- بالشاب المشنوق الذي حكيت لي عنه.. انظري الساقين، ذات الماء!
- أمامنا سبع لوحات مليئة بالتفاصيل دقيقة للغاية.. من رسمها يعرف بشأن الجرائم.
- ويحاول الإشارة إليها.. لو أنه كان شاهدًا عليها، فلماذا لم يبلغ الشرطة ؟
- ولو كان مرتكبها؟ بالتأكيد لن يُبلغ الشرطة.
- ولماذا يُلمح إليها إذن؟

أتأبط ذراعه تصرف مزعج بالنسبة له لذا أتعمده وأسير به مبتعدة عن الزحام، وأخبره أن بعض القتلة المتسلسلين يشعرون بالحنق عندما لا يتعرف أحد على هويتهم، فلا ينسبون جرائمهم المبدعة إليهم، فيحاولون التلميح إليها.. القاتل المتسلسل مجهول الهوية «زودياك» الذي قتل خمسة أشخاص وجرح اثنين وادعى أنه قتل ثمانية وعشرين آخرين راسل صحفًا أمريكية، وهددها بالتفجير لو لم ينشروا خطاباته المُشفّرة، التي يشير فيها إلى هويته.. نشرت الصحف الرسائل التي ادعى فيها أنه يقتل؛ ليحتفظ بمن قتل عبيدا في العالم الآخر.

- استطاعوا فك شفرة رسالتين من رسائله الأربع عام 1969، وعام 2020 وفشلوا في فهم الرسالتين الأخريين.. ظل زودياك يراسل السلطات من خلال الصحافة، وفي أحد خطاباته عام 1970 كتب: «اسمي هو ...» وتبعه بثلاثة عشر

رمزا لم يفسرها أحد حتى اليوم.. أرسل آخر خطاباته عام 1974، وتوقف عن القتل قبلها بخمسة أعوام.

- ولماذا توقف عن القتل؟
- يُقال إنه كان يعاني اضطراب تعدد الشخصيات وقد خفت وطأته على مدار السنوات، كما هو مألوف لمن يعانون هذا المرض... عموما القضية مفتوحة حتى الآن ولم يصلوا فيها إلى شيء.
- (يحيى)، ما نوع هاتف الشاب الذي رأيته في الرؤيا
- نوكيا قديم.. لماذا تسألين؟

- لا شيء.. مزيد من التفاصيل فقط.
- هذا هو هاتف (ولف).

تعود إلى الفتاة جوار اللوحات وتسألها عن الرسام، فتضحك وتقول إنها تجد تلك اللوحات أمام باب بيتها، ومعها رسالة تطالب بعرضها وبيعها.

- وعندما تبيعينها، إلى من ترسلي المال؟
- لم يذكر.. ولم يشتر أحد أيها.

أحدق إلى وجه الفتاة، التي ترتدي قبعة من القش ونظارة شمسية ملونة..

ملامحها مألوفة.. القوم يتشابهون هنا كما تتشابه الحيوانات في عيني البشر،

لكني أعتقد أنني رأيتها من قبل... أسألها:

- هل تدرسين في المدرسة الثانوية العليا؟
- نعم.. وأعرفك.. أنتِ الأمريكية التي تعمل مع حرس الغابات.

وأنت الفتاة التي ستذبح نفسها بعد أيام.. نظرت إلى (يحيى) فأدركت أنه فهم وربط بين الفتاة والصورة التي أرسلتها له.. يقول (يحيى):

- سنشتري هذه اللوحات

أضغط على ذراعه بقوة، وأنا أضحك وأقول:

- يا للبشاعة من قد يشتري لوحات كهذه؟! معذرة يا.. ما اسمك؟

- (كيتي رايدر)
- معـذرة يـا آنسـة (رايـدر) .. صـديقي متهـور قلـيلًا.. هـو كاتـب روايـات تشـويق ورعـب، ويحـب هـذه الأشـياء، لكنها فعلا بشعة

أضحك مرة أخرى، فيبتسم (يحيى) ويقول:

- ربما أعود لك سرا.

تتسـع ابتسـامة الفتـاة، ويبـدو أن (يحيـى) قـد راقهـا لسـبب مـا .. أشـتري منهـا قطعتـين خـزفيتين وأشكرها، ثـم أبتعـد مـع (يحيـى) مغادرين المعرض.

- لماذا لم نشتر اللوحات ؟!
- لعـدة أسـباب.. أهمهـا أننـا لا نريـد لنفسـينا صـلة بهـذه الجـرائم.. هـل تريـد سـببًا آخـر؟ ربمـا مَـن رسـمها يراقبنـا أو أن هـذه الفتـاة تعمـل معـه، ولـو اشـترينا هـذه البشـاعات سـيعرف أننـا فهمنـا.. لا تـنس أن شخصـا حـاول قتلـك، ويمكـن أن تكـون الإعلانـات التـي وزعـت اليـوم أمـام النـزل كانـت لاسـتدراجنا.. ربمـا لـو لـم تـذهب لوجـدوا طريقة أخرى للفت نظرنا إلى اللوحات.
- إذن ثمة محرّض ومنفذ.. هذا القاتل ليس منفردًا.

أصـمت طـوال طريـق عودتنـا إلـى النـزل، وأنـا أفكـر فـي السـبب الحقيقـي، الـذي جعلنـي أرفـض شـراء هـذه اللوحـات فـي مصـر يعتبـرون تركـي اللوحـات فـي حـوزة الفتـاة (مسـمار جحـا»، أي ذريعة للتواصل معها مرة أخرى.

بعيدا عن (يحيى).

التساؤلات العاشرة

لكني أمقت أن يتدخل أي شخص في عالمي الصغير،

لا لشيء سوى انني كنت أشعر أنهم سيتضررون لو فعلوا.

(يحيى)

صيد فيل مجنح

رأيت القرد من رؤاي في بقعة الدماء المرسومة على أغلب مسطح اللوحة هذا هو القرد الذي يطارد خلفيات احلامي.

ثم رفضت (مريم) أن اشتري اللوحات ربما هي محقة، لكنها فوتت علي الفرصة التي قد تكون الوحيدة لفحص هذه الأعمال... لو طلبت منها الخروج مرة أخرى إلى المعرض لرفضت.

مصادفة جيدة أن نذهب إلى هذا المكان لكن البلدة صغيرة، وكنا سنذهب إليه عاجلا أو آجلا؛ إذ إن الأماكن محدودة حقا.. هذا ما لم يكن تفسير (مريم) للإعلانات صحيحًا، وأن أحدهم قادنا إلى المعرض.

الأهم من اللوحات الفتاة (كيتي) .. هذه هي الضحية التي سيقتلها الفتى خلال أسبوع، بعدما يقص شعره ويصبغه.. أمامنا ،وقت، لكن ماذا سأفعل فيه؟ أحذرها؟

هل أزور أحلامها فتتحول إلى قاتلة ؟ الأفضل بالطبع أن أذهب إليها، لكن كيف أخرج دون أن تعرف (مريم)؟

أريد أيضًا معرفة من يريد قتلي، ومن المُحرّض على ذلك.

وأريد معرفة من رسم اللوحات وماذا يعرف عن تلك الجرائم، خاصة أن واحدة مما رسم لم تقع بعد، وما صلته بـ (كيتي) التي تعرض اللوحات؟ ولماذا يخفي عنها هويته ؟

هل الرسام هو القاتل؟ بدأت أميل إلى هذا التفسير.. لو كان شهادًا، فكيف عرف بما سيحدث في المستقبل؟

يجب أن أجد طريقة أتحرك بها بحرية.. لو استأجرت خدمات شخص آخر فماذا سأطلب منه ؟ هل سأقول له : مساء الخير يا سيدي، أريدك أن تجد لي شاباً سيصبغ شعره بالأصفر خلال أسبوع ؟ هل سأطلب منه معلومات عن فتاة محلية وأنا لا أعرف إن كان سيخبرها ويخبر الجميع بطلبي العجيب هذا؟

أنظر إلى سوار التتبع حول معصمي واكبت غضبي داخلي.. أنا قادر على اختراق حجب المكان والزمان، لكني كشبح غير قادر على التواصل أو السؤال، أو حتى تحديد في أي مكان وزمان سيظهر.

أخرجت الأفلام التي اشتريتها من المعرض كلها أفلام محلية صنعها الشباب من شعب (الهايدا)، الذي يسكن جزر الملكة (شارلوت)، وبعض بقاع (كندا).. أتامل أغلفة الأقراص المدمجة، وأنا أسأل نفسي عن سبب استخدامهم هذا الوسيط القديم في تخزين الأفلام... لم يعد لدى أحد ما يشغل عليه هذه الأقراص.

فتحت حاسوبي المحمول، وشرعت أنقل أول اسم من الأفلام على محرك البحث.. لا بد أن لهذه الأفلام نسخا على الإنترنت.

وجدت مقاطع من الفيلم الأول بعنوان «الجد»، على موقع فيميو.. لا شيء سوى رقصات (الهايدا)، وطقوس حفر التماثيل، والتواصل مع الأسلاف... فيلم آخر بعنوان «بساط للسقف»، يدور حول شاب يرى في سقف غرفة نومه

لقطـــات مـــن المســـتقبل، كلهـــا مرمـــزة برمـــوز (الهايـــدا) البصرية.. الفيلم مصور بكاميرا قديمة،

وكـل شـيء فـي ملابـس الشخصـيات وطريقـة التصـوير تشـي بأنه طور في ثمانينيات القرن الماضي.

فـيلم ثالـث بعنـوان «مطـاردة»، عبـارة عـن مجموعـة أشـخاص يطـاردون بعضـهم فـي الغابـة.. القاسـم المشـترك بـين الثلاثـة أفـلام أن ممثليهـا لا يعرفـون شـيئا عـن التمثيـل.. مجموعـة شـباب ،مـرتبكين، ينظـرون إلـى الكـاميرات كأنمـا يسـألون مـن خلفها عما عليهم أن يفعلوا.

ثمة شيء آخر لافت.. الموسيقى.

مـا هـذه الموسـيقى التصـويرية المريبـة ؟ سـماعها يزعجنـي يُرجفني، يدفعني للغوص فيها أكثر.. غريب هذا.

الفـيلم الرابـع بعنـوان «انسـلاخ »، وهـو أغربهـا، بـل ربمـا أغـرب مـا شـاهدت علـى الإطـلاق مـن أفـلام... يبـدأ الفـيلم بمشـهد ثعبـان ينسـلخ عـن جلـده، ثـم مشـاهد لشـاب يحلـق شـعره الطويـل ويصـبغه ورجـل أبـيض يقهقـه، يلـي ذلـك مشـاهد دمويـة غيـر مفهومـة.. طعـن، رشـق بالسـهام شـنق تـردّي مـن علـي، ولا يظهر فيها تفاصيل القاتل أو القتيل.

لاحظـت أن لهـذا الفـيلم منتجـا باسـم «إيفوليوشـن» أو تطـور، أمـا لوجـو شـركة الإنتـاج فعبـارة عـن نصـف وجـه قـرد بطريقـة رسم (الهايدا) مانجا المستخدمة في أغلب لوحات المعرض.

القرد مرة أخرى.

من يبيع هذه الأفلام؟ ومن قد يشتريها إن كانت معروضة على وسيط قديم كهذا؟

لو أنها على وحدة تخزين خارجي ما بيعت وما لفتت نظر أحد.. هذا منطقي.

راجعت باقي الأفلام ووجدت شعار شركة الإنتاج ذاته على قليل منها،

موضوعا بشكل فني داخل الكادرات، أما البعض الآخر فلم يكن نسخا كاملة، بل مجرد مقاطع.

الأفلام مرة أخرى كما في المرة السابقة.. أفلام الإنترنت المظلم... لكن هذه المرة أفلام (الهايدا) وشركة (إيفوليوشن)، بالإضافة إلى الموسيقى العجيبة المزعجة الرائعة ماذا يحدث ؟

من رفع هذه الأفلام على الموقع ليس شخصًا واحدًا، وكل حساب ليس عليه إلا فيلم واحد أو مجموعة مقاطع من النوع نفسه.. بحثت باسم شركة الإنتاج

فلم تظهر لي نتائج.. لا بد أنها شركة شديدة المحلية.. وربما السرية.

(مريم) هي القادرة على معرفة المزيد عن أصحاب الأفلام.. ما يعرض على محركات البحث العادية يمثل قمة جبل جليدي من المعلومات، أما باقي الجبل فلا يطلع عليه إلا المختصون والمختلون والمجرمون معي أحد عشر فيلمًا، كلها عن (الهايدا)، كلها بممثلين غرباء الأطوار في المراهقة.. أريد أن أذهب إلى من اشتريت منه الأفلام

لأعـرف أكثـر. أريـد أن التقـي بــ (كيتـي)؛ الفتـاة التـي تعـرض لوحات المانجا.

ماذا لو خرجت ؟ ماذا ستفعل (مريم)؟

لا شـيء.. لـن تفعـل شيئًا .. ولـو فعلـت فأنـا مسـتعد تمامًـا لسـحق رأسها ب....

أستغفر الله العظيم.

أمســح وجهــي بكفــي، وانظــر إلــى انعكاســي المشــوش علــى شاشــة الحاســوب المحمــول، التــي مــا زالــت تعــرض مشــاهد القتـل والسـلخ.. مـاذا لـو أن هـذه المشـاهد حقيقيـة؟ مـاذا لـو أن لها صلة برؤاي.

ثـم ألاحـظ أمـرًا عجيبًـا.. عنـدما أشـاهد مـا يجـري علـى الشاشـة لا أشـعر بشـيء تجـاه الفاعـل أو المفعـول بـه.. رغـم بشـاعة مـا يحـدث، ورغـم احتمـال أن تكـون الأفـلام واقعيـة رؤيتهـا ضـمن حـدود الشاشـة المسـتطيلة، يجعلنـي لا أشـعر بشـيء، ولا برغبـة في اتخاذ أي رد فعل... هل للموسيقى تأثير؟

أتـذكر عنـدما كنـت طفـلا، وشـاهدت منـاظر مـن حـرب الخلـيج، لأول مـرة علـى شاشـة التلفـاز.. الـذعر البكـر المـدهش يفطـر قلبي يجعلنـي أقسم علـى ألا أنسـى كـل لحظـة مريـرة مـرت علـى الأبرياء والضحايا.

أتـذكر أول فـيلم يحـوي مشـاهد عنيفـة رأيتـه فـي حيـاتي.. أتـذكر كـم أصـابني بالصـدمة.. أتـذكر كيـف جافـاني النـوم لأسـابيع، وأنا أفكر في كيفية إنقاذ البطل.

أتذكر منظر المذابح والمجازر التي تمر على شاشات الهواتف الآن، ولا أجد في نفسي رغبة سوى أن أرفع ابهامي إلى أعلى فيختفي الهول، وتحل محله صور القطط والطعام وأخبار الممثلين... بجزة إبهام تمحى الفظائع وكأنها لم تكن.

كم نتغير**!**

كم نتطور**!**

ننسلخ خارجين من جلد أبناء آدم ،القديم إلى جلد أصم أبكم لا يليق حتى بأفعى.

(إيفوليوشن).

تطور.

مايداي.

مايداي.

مايداي.

أغلــق هــاتفي المحمــول، واســتقل ســيارة أجــرة إلــى حيــث المعرض مرة أخرى.

(كيتــي) ليســت هنــا، لكــن الرجــل الــذي اشــتريت منــه الأقــراص ما برح جالسا يدخن، وقد أنهى بيع أغلب ما كان لديه.

- من أين جئت بالأقراص المدمجة التي اشتريتها منك؟
- كل ما أبيــع هنــا مسـتعمل.. يشـتريه التجـار مـن البيـوت، ثـم أشـتريه أنــا مــنهم لأعرضــه .. هــل مــن مشـكلة؟ البضــاعة المبيعة لا ترد.
- أريد المزيد من هذه الأفلام. أين التاجر الذي يبيعها؟

أعطـاني عنوانًـا خـارج البلـدة، فـذهبت إليـه علـى الفـور.. توقعـت أن تلحـق بــي (مـريم) إلــى هنــاك، لكنهـا لـم تفعـل حتــى أنهيـت حـديثي مـع التــاجر الــذي أخبرنــي أن فتـاة محليـة باعتـه مجموعـة أغــراض قديمــة، منهــا الأقــراص المدمجــة، وزعمــت أنهــا أغـراض خاصـة بوالـدها المتـوفى.. طلبـت منـه رؤيـة بـاقي هـذه الأغــراض، فأرشــدني إلــى مخــزن صــغير يضــيئه مصــباح فلورسنت عتيق، ثم أخرج لي صندوقا وقال:

- لا يشـتري أحـد أشـياء كهـذه.. أغلـب مـا يُبـاع ذو طـابع فنــي ما، لكن هذه.. لم أدفع ثمنها بعد على أي حال.

نظرت له متسائلًا، وأنا راكع جوار الصندوق

- إذن لــو اشــتريتها منــك، سترســل المــال إلــى الفتــاة التــي ذكرتها؟
- ليس معي عنوانها.. سأتصل بها.. لماذا تسأل؟

- أرى.. أرى هنا أغراضًا أحتاجها ل.. لتصوير فيلم يدور في فترة الثمانينيات، وأريد أن أسألها عن المزيد.

أخرجت من الصندوق مجفف شعر، مما كانت تستخدمه أمي وأنا صغير..

أعرف هذا المجفف جيدًا.. طلبت من الرجل أن يرشدني إلى أقرب مقبس كهرباء،

فأوصلته لكنه لم يعمل.. طبعا لن يعمل وآثار الحرق المسودة عند مخرج الهواء الخلفي تقول إنه معطل... ربما غرق في الماء، أليس كذلك؟

أخرجت أيضًا من الصندوق مجموعة صور فوتوغرافية، يظهر فيها لقطات من البلدة في الماضي... ألمح في خلفية إحداها حافلتين... أسأل الرجل الخمسيني الذي بدأ يمل من أسئلتي:

- هل كان في البلدة حافلات في الماضي؟
- نعم.. لكن الحكومة وجدت أنها تضر البيئة والمحميات، فمنعتها.. هل ستشتري هذه الأغراض؟
- بالطبع.. لكن أعطني رقم هاتف الفتاة أولاً.

هكذا تم الاتفاق وحملت الصندوق بذراع وبيدي الحرة وضعت هاتفي المحمول على أذني بعدما فتحته ورحت أنتظر أن تجيب الفتاة اتصالي.

هل والد الفتاة هو القاتل؟ هل هو الرسام حقا والفتاة تعرف هذا وتحاول التخلص من أغراضه التي اعتبرتها أدلة إدانة؟ هل مات أم فر؟ كيف ستموت هذه الفتاة، ومن سيقتلها؟ أبوها؟

ما علاقة كل هذا بالفتى المحلي والقرد ومحاولة قتلي؟